وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

كتاب العقد الفريد "لابن عبد ربه "

دراسة في المضمون والمنهج والخصائص

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة :

حنان بن سديرة

إشراف الدكتور:

محمد فورار

السنة الجامعية:

1436/1435هـ

2015/2014م

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى الذي وفقنا إلى إنجاز هذا البحث سائلين إياه التوفيق والثبات على الحق.

قد لا تفي الكلمات أحيانا في قضاء بعض ديوننا اتجاه الآخرين ، بل إنها تقف خجلة أمام فيما يقتضي الحق اعترافا منا بشكرهم وتقديرهم.

لذا نتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان وجميل العرفان إلى الدكتور: محمد فورار الاستاذ المشرف والذي وجدت في إشرافه مدرسة للهداية العلمية والثقافية.

مقدمة

إن الثقافة الأندلسية بشكل عام – والأدب الأندلسي – على وجه الخصوص ، كأدب لسانه عربي إسلامي وروحه الحضارة المتنوعة التي يحياها الأندلسيون بكل مقوماتها المختلفة الحضارية والعرقية والتاريخية ، هي تمازج بين الحضارات وبين الماضي والحاضر.

قد كتاب "العقد الفريد " لابن عبد ربه ذا مكانة لدى الأدباء والعلماء القدامى والمحدثين على السواء ، لما ضمنه صاحبه من جواهر الحكم ولآلئ الكلام ، وغرائب القصص ، ونوادر الأخبار ومنتقى الأشعار ومختلف الفنون والآثار من متخير الكلام وسحر البيان.

ومن دوافع اختيارنا كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي :

أولا: أنه موسوعة ضخمة ومهمة ، بل ذخر نفيس من الذخائر التي خلفها الأندلسيون ، تجمع بين المختارات الشعرية والنثرية ، ولمحات من التاريخ والأخبار ، مع الأخذ بنظرات في البلاغة والنقد مع شيء من العروض والموسيقى وإشارات للأخلاق والعادات.

ثاينا: أسلوبه المميز وطريقة عرضه الفريدة وفكرته التي تجعل الشخص ينشد له ويرغب في قراءته واقتناءه.

وهذا يقود بنا إلى طرح الإشكال التالي : ما هو مفهوم كتاب العقد الفريد وما مضمونه ومنهجه وخصائصه؟

حيث اعتمدت على الخطة الآتية في الدراسة التي تتضمن فصلين صدرتهم بمدخل بعد المقدمة. تناول المدخل المؤثرات العامة في حياة الكاتب وكيف أثرى ثراء قرطبة وجمالها في نشأة ابن عبد ربه مما زاد رفعة صلته بأصحاب الامارة ووجهائها وأعلامها.

حيث تطرقنا في الفصل الأول إلى حياة ابن عبد ربه وبيئته ومكانة ابن عبد ربه الأدبية والشعرية بين أقرانه ، كما تناول الفصل كتاب "العقد الفريد " وسبب التسمية وأقسامه وموضوعات هذه الأقسام ومادة وخصائص ومنهج ابن عبد ربه في كتابه وأثره في الدراسات الأدبية.

ويتناول الفصل الثاني القضايا الأدبية والفنية التي وردت في الكتاب من فنون الخطابة والأمثال والحكم والرسائل ، بالإضافة غلى المنظوم من الشعر ويشمل مختلف موضوعاته وأنواعه .

بالإضافة إلى الحديث عن البيان ومفهوم البلاغة في "العقد الفريد " ، وكذا الاهتمام بالألفاظ والتراكيب ، كما تعرض هذا الفصل للبناء والأسلوب الذي اعتمد عليه ابن عبد ربه في كتابه.

لعل المنهج التاريخي الفني كان خير سبيل وأنسب طريق تتبعته للدراسة والبحث في مضامين هذا الكتاب ومادته.

وقد اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع نذكر على سبيل المثال " العقد الفريد " لابن عبد ربه الأندلسي ، مصادر الأدب للدكتور طاهر أحمد مكي ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، ديوان ابن عبد ربه الأندلسي.

ومن أهم الصعوبات التي صادفتها في إنجاز هذا البحث منها :

قلة المصادر والدراسات والبحوث بالإضافة إلى ثقافة العقد الموسوعة التي تتجاوز هذه الصفحات ، والتي حاولت لملمتها بين طيات هذا البحث المتواضع.

ولا يفوتني في الأخير أن أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور محمد فورار الذي لم يبخل علينا بالدعم والتوجيه وكفى بالله شهيدا عليه توكلت وإليه المصير.

المدخـــل

المؤثرات العامة في حياة الكاتب

1 ـ نشأة ابن عبد ربه وعلاقته بخلفاء عصره.

2 ـ ثقافـة ابـن عـبد ربـه الـفـقهية والأندلسية.

1 -نشأة بن عبد ربه وعلاقته بخلفاء عصره:

قرطبة مدينة التراث والثقافة مثلها مثل الشجرة ذات الجذور العميقة التي نمت وترعرعت في بلاد الأندلس من جراء ثرائها وجمال طبيعتها وعناية الأمراء الأندلسيون بها ، وقد جاء في نفح الطيب أنه: «يحكى أن العمارة في مباني قرطبة والزهرة والزهراء اتصلت، إلى أن – المرء– كان يمشي فيها بضوء السُّرج المتصلة عشرة أميال» [1]، هذا ما جعلها تحتل الصدارة «فكانت عاصمة الأمويين منذ حكم عبد الرحمن الداخل في منتصف القرن الهجري الثاني إلى ما بعد زمن عبد الرحمن الناصر الذي عاصره ابن عبد ربه، وعلى هذا فهي قاعدة الأندلس الأولى وقطبها، وقطرها الأعظم، وأم مدنها، ومساكنها، ومستقر الخلفاء كما شهد لها آخرون ومن جملة الرحالة الذين زاروا قرطبة وأعجبوا بها ابن حوقل التاجر الموْصِليُّ الذي طرق تلك البلاد في حدود سنة 350 هـ » [2] وكان هذا الأخير من بين الزوار الذين عظموا قرطبة فقال: «وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة وليس لها في شبيه في كثرة الأهل وسعة الرقعة، وهي حصينة ولها بابان» [3]، وقد عاش ابن عبد ربه في قرطبة طوال حياته حيث طال به العمر حتى ناف على الثمانين، وعلى طول هذا العمر المديد تربع على عرش قرطبة كل من:[4]

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (273هـ)،المنذر بن محمد بن عبد الرحمن (275هـ)،عبد الله بن محمد بن الرحمن (300هـ) .

---

[1] المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب، ج3، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1388هـ 1968م، ص793

[2] ينظر ديوان بن عبد ربه مع دراسة لحياته وشعره ،ت محمد التونجي، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص7

[3] المرجع نفسه ، ص 7

[4] طاهر أحمد مكي ، دراسة في مصادر الأدب ،دلر الفكر العربي، ط1999،8، ص282

ويبدو أن ابن "عبد ربه" كان في العقد الثالث من عمره توفّي أوّل هؤلاء الأمراء أو الخلفاء الذين عاصرهم، ومع ذلك لا نكاد نجد له شعرا في هذا الأمير، إلا أن ابن حيان في كتابه (المقتبس) يقول: «وقد مدح الأمير محمد أول ما مدح من الخلفاء لأول نبوغه فشعره قليل فيه »[1] وهذا يدل على قلة صلته، بادئ ذي بدء، بأصحاب الإمارة في عصره، في حين نجد له في الأمير الثاني "المنذر بن محمد" <<الذي حكم سنتين، قصيدة قيل إنها طويلة>>[2] نستشف منها تقرب ابن عبد ربه من ممدوحه، يقول فيها: [3]

بالمنذر بن محمّد * شرفت بلاد الأندلس**

فالطّير فيها ساكن * والوحش فيها قد أَلِسَ**

ولقد أشاد "ابن عبد ربه" بهذا الأمير وجاد في مدحه << وذكر ابن حيان أن ابن عبد ربه ثنّى في مدحه بالمنذر بن محمد >>[4] وهذا ما أوضحناه لكن المنذر لم يطل به العمر، إذ توفّي بعد سنتين من تولّيه الحكم، وخلفه ابنه عبد اله وبه ثَلَّثَ ابن عبد ربّه مدائحه «وقد نقّحت أشعارُهُ وانقادت له بدائع معانيه وغرائب اختراعاته فجاء بالأدب في صناعتيه»[5]

---

[1] ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، نشر الأدب ملشوم، أنطونية، دط، 1937، ص41

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ج 1، تحقيق إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، دط، 681هـ، ص111/1

[3] المرجع نفسه، ص 111/1

[4] ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، ص41، 42

[5] المرجع نفسه، ص42، 43

ومن مدائح ابن عبد ربه في الأمير عبد الله، قصيدته القافية التي قالها لأوّل جلوسه في الخلافة جاء فيها: [1]

خلافةُ عبدِاللهِ حجٌّ عنِ الورى * فلا رَفَثٌ في عصرِه وفسوقُ**

حقيقٌ بما نالتْ يداهُ منَ العُلى * وما نالنا منها بهِ فحقيقُ**

تجلَّتْ دياجي الحيفِ عن نورِ عدلهِ * كما ذرَّ في جنحِ الظَّلامِ شروقُ**

وثقَّفَ سهمَ الدينِ بالعدلِ والتُّقى * فهذا لهُ نصلٌ وذلك فُوقُ**

وأعلقَ أسبابَ الهُدى بضميرهِ * فليسَ لهُ إلا بهنَّ علوقُ**

وما عاقَهُ عنها عوائقُ ملكهِ * وأمثالُه عن مثلهنَّ تَعوقُ**

إذا فتحتْ جنَّاتُ عدنٍ وأزلفتْ * فأنتَ بها للأنبياءِ رَفيقُ**

ومن مدائحه فيه أيضا، قصيدته الحائية في غزوة (حصن بلاي) وفتحه، التي مطلعها [2]

هو الْفَتْحُ منظومًا على إثرِهِ الفتحُ * وما فيها عهدٌ ولا فيها صُلَحُ**

بدولة عبد الله ذي العزِّ والتُّقَى * يحبَّر في أدني مقاماته المدْحُ**

وقد أثنى ابن عبد ربه على هذا الأمير بقوله: «وكان الأمير عبد الله بن محمد من أفاضل خلفاء بني أميّة بالأندلس، بنى الساباط طريقا من قصره إلى المسجد الجامع تمكينا لمشاهدته صلاة الجماعة مع الناس فيه فاستولى له وواظب الصلاة في المسجد بمصلاه إلى جانب المنبر طول مدّته إلى أن أتاه أجله، رحمة الله وبركاته عليه» [3]

أما رابع خليفة أندلسي بالغ ابن عبد ربه فيه القول، وبذَّ الفحول، فعلا ذكره واستطار بارق شعره.

---

[1] ابن عبد ربه، ديوان ابن عبد ربة، ت محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط 1، 1399هـ، 1979م ص113، 115

[2] المصدر نفسه، ص43، 45

[3] ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، ص47

<<فـ (عبد الرحمن الناصر) الذي تولّى الخلافة بين سنتي 300-350هـ وقد عاش ابن عبد ربه في خلافته ثمانية وعشرين عاما>> [1]، لم يتوقف في هذه الأعوام عن قول الشعر في مدح الناصر والثناء عليه، فقد افتتح عهدهُ بتهنئته تولّيه الخلافة بقوله:[2]

بدا الهِلالُ جَديداً * والمُلكُ غَضٌّ جديدُ**

يا نِعْمَةَ اللّهِ زِيدِي * ما كَانَ فيكِ مَزيدُ**

إنْ كَانَ الصَّومِ فِطْرٌ * فَأنتَ لِلدَّهْرِ عِيدُ**

وواكب انتصاراته على المتمردين واصفا إيّاها شعرا، ومادحا النّاصر مدائح بِرَّ فيها معاصريه، منها قوله:[3]

قدْ أوضحَ اللهُ للإسلامِ منهاجاً * وَالنَّاسُ قَدْ دَخَلُوا في الدِّينِ أَفْواجا**

يَا بْنَ الخَلائِفِ إنَّ المُزنَ لَوْ عَلِمَتْ * نداكَ ما آنَ منها الماءُ ثجاجا**

إنَّ الخَلاَفَةَ لَنْ تَرْضى ، وَلا رَضِيَتْ * حَتَّى عَقدْتَ لها في رَأْسِكَ التَّاجا**

وقال فيه ذات يوم مرتجلا: [4]

بدرٌ بدا مِنْ تَحتهِ أبلقُ * يحسدُ فيه المغربَ المشرقُ**

لما بدا للأرض مستبهِجاً * كادَت له عيدانُها تُورِقُ**

غمامُ عدلٍ باسطٌ كفَّهُ * يرزقُ منها اللّهُ ما يرزُقُ**

عادَ به الدهرُ الذي قد مضى* وجدِدَ الملكُ به المُخْلَقُ**

لقد كان لهذا الخليفة حظ كبير في شعر "ابن عبد ربه" حيث نظم في غزواته أرجوزة

---

[1] ابن حيان، مقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، ص47

[2] ابن عبد ربه، ديوان ابن عبد ربه ، ص64

[3] المصدر نفسه ، ص35،37

[4] المصدر نفسه ، ص122

طويلة وصف فيها حروبه وغزواته ومن خلال هذه الأرجوزة نلمس قدرة واضحة في النظم

ويظهر "ابن عبد ربه" قدرته وثبوت قدمه في الأدب ، وقد جانب الصّواب كلّ من "هيكل" و"أحمد أمين" حين قالا: «ليس فيها من عنار الشعر شيء ذو قيمة »[1] والذي يمعن النّظر في الأرجوزة يجد، بوضوح عناصر الّشاعريّة والفنّيّة والخيال على، وإن كانت كما قالا: «أشبه بالمنظومات التاريخية ليس فيها خيال ولا افتخار » [2] إلا أن هذا لا يعني تجرّدها من الفنّ وعنصر الخيال.

2 ثقافة ابن عبد ربه الفقهية والأندلسية:

يعد ابن عبد ربه واحد من الأدباء الذين طلبوا العلم منذ الصغر وجدوا واجتهدوا حتى صاروا خناذيذ الأدب وجهابذة الشعر، نشأ في قرطبة وترعرع فيها وطلب العلم في جامعها وعلى شيوخ عصره، وسمع منهم، يذكر ابن الفرضي في تاريخه أن ابن عبد ربه «سمع بقّي بن مخلّد وابن وضّاح والخشني »[3] ويذكر ابن العماد أنه<< سمع من بقّي بن مخلّد ومحمد بن وضّاح>> [4] وهؤلاء الشيوخ الذين درس على أيديهم ابن عبد ربه كان لكل منهم ذاع طويلة، وقدم ثابتة ، لقد استطاع "ابن عبد ربه" أن يأخذ الكثير من المعرفة والعلوم من العلماء والأدباء نذكر منهم: أولا "بقّي بن مخلّد" <<المتوفى 276هـ كان ذا علم واسع وفضل كبير على الأندلس وأهلها رحل إلى المشرق فلقي جماعة من أئمّة المُحدَثين، وسمع بإفريقية من "سحنون بن سعيد"،"وعون بن يوسف" وغيرهما>>[5] .

---

[1] أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، دط، 1985، ص222

[2] أحمد أمين ، ظهر الاسلام،ج3،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1979،2، ص113

[3] ابن فرضي ، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق عزت العطار الحسيني،ج1،مطبعة المدني،مصر القاهرة، ط2، 1373، 1954، ص50

[4] ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت، طبعة 1350هـ، 1089م، ص21

[5] المرجع نفسه، ص18

فكان له الأثر الكبير على البلاد وأهلها، <<وقد أدخل إلى الأندلس كثيرا من كتب المشارقة التي كان يشار إليها بالبنان مثل كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهدي، وفقه الإمام الشافعي ومصنّف ابن أبي شيبة، والطبقات لابن الخيّاط، هذا فضلا عن تصانيفه الكثيرة في القران والحديث >> [1] .

ثانيا: "محمد بن وضّاح" <<المتوفى، 287هـ،ذو فضل كبير على "ابن عبد ربه زوده بالعلم والدين، كان عالما بالحديث، بصيرا بطرقه، متكلّما على عِلَلِه، كثير الحكاية عن العبادة، ورعا زاهدا، فقيرا متعفّفا، صابرا على الأسماع، محسنا في نشر العلم»[2]

ثالثا: "الخشني" لا يقلّ عن سابقيه في الأندلس مكانة، فقد نقل إليها كثيرا من كتب اللغة من المشرق، والتقى بلغَويّي المشرق في أثناء رحلته إليه، ودخل بغداد وكتب بها كثيرا من الكتب، وأدخل إلى الأندلس عددا غير قليل من حديث الأئمة وكثيرا من اللغة والشعر الجاهلي رواية.

ولذا، فقد تلقّف ابن عبد ربه علوم الفقه والحديث واللغة ودواوين الشعراء والتاريخ والأخبار والسّيّر، وحسبنا شاهدا على ما نقول كتابه "العقد الفريد" الذي لم يَدَعْ في الأدب، بمعناه العام، شيئا إلا ذكره فيه أو نوّه عنه، وقد صنّف كتابه "العقد" من الكتب الممتعة حوى من كل شيء، وله ديوان شعر ومن شعره [3]

يا ذا الذي خطَّ العذار بوجهه * خَطَّينِ هاجا لوعة وبَلابلا**

ما صحَّ عندي أنَّ لحظكَ صارمٌ * حتى لبستَ بعارضيكَ حمائلا**

وكان ابن عبد ربه القرطبي، صاحب كتاب العقد أنجد وغار وعلا بذكره الآفاق والأقطار

---

[1] ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ص18

[2] ينظر: ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق عزت العطار الحسيني، ج1، ص18

[3] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص110

فهذا الكتاب يدل على فضائل جمّة وعلوم كثيرة مهمّة والأديب من الفضلاء المكثرين والعلماء بأخبار الأولين والمتأخرين.

هذا فضلا عن شهادة كل من "ابن خاقان"، "والحميدي"، "والضبِّي"، "وابن خلكان"، إذ قال الأول فيه: «عالم ساد بالعلم ورأس، واقتبس من الحظوة ما اقتبس، وشهر بالأندلس، حتى صار إلى المشرق ذكره، وكانت له عناية بالعلم وثقة، ورواية له متّسقة، وأما الأدب فهو كان حجّته،...وله التأليف المشهور الذي سمّاه "بالعقد"، وحماه من عثرات النقد، لأنه أبرزه "مثقّف القناة"، "مرهف الشباه"، تقصر عنه ثواقب الألباب، وتبصر السحر منه في كل باب » [1] وقد شهد "الحميدي"و"الضبي" لابن عبد ربه بمكانته الثقافية والأدبية، أما ابن خلكان فقال: «كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس» [2] ويكفي هذا دليلا وبرهانا من شهادة ذوي الاختصاص من أدباء وعلما ، في بيئة الأندلس الجميلة والراقية وجد الأدب العربي كل ما يستثير الخيال ويغذي الفكر ويجيّش العواطف فنما فيها وازدهر واكتسب بفضل هذه البلاد سمة خاصة، كانت بلاد الأندلس في أوج تقدمها مما دفع الكثير من العلماء لجعلها هدف للدراسة ومن هنا تجدر الإشارة إلى أنه يوجد عدة دراسات اعتنت بالأدب الأندلسي بمختلف طبوعه نذكر على سبيل المثال<< "التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي" لـ حسن أحمد النّوشي و"وصف الحيوان في الشعر الأندلسي" لـ حازم عبد الله خضر و"الشعر في قرطبة" لـ محمد سعيد محمد، و"الأدب العربي في الأندلس" لـ عبد العزيز عتيق>> [3].

ومن الأمور التي توضح هذا الأمر وتكشف النقاب على الألقاب التي كان أهل الأندلس

---

[1] ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ت محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ط1، 1403هـ، 1983م، ص51

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص110

[3] المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب، ج3، ص21

يلقبون بها شعرائهم، << فقد كانوا يلقبون الرصافي بأنه ابن الرومي الأندلسي، وفي مروان ابن عبد الرحمن ابن معتز الأندلس، وفي ابن دارج القسطلي: متنبي الأندلس>>[1]، ومن بين الرحالة الذين زاروا الأندلس:<<منذر بن سعيد البلوطي الذي رحل إلى المشرق، وروى بمصر عن جعفر بن النحاس، وكتاب العين بن أحمد الفراهدي عن أبي العباس بن ولاد[2]

أما "بقي بن مخلد" و"ابن وضاح والخشني"، فالأول كان صاحب فضل كبير على الثقافة الأندلسية الفقهية فقد أدخل الكثير من كتب المشارقة، كمصنف ابن أبي شيبة، وفقه الشافعي لخليفة بن خياط، والطبقات له أيضا، ونسخة من كتاب العين.

أما <<"ابن وضاح" فكان عالما بالحديث، وأما الخشني فإنه لقي لغويي المشرق في رحلته فأخذ عنهم كثيرا من كتب اللغة، أما سعيد بن جودي النحوي (289هـ) فقد أدخل كتاب الكسائي وأما عبد الله الغازي فقد لقي في رحلته المشرقية، الرياشي وأبا حاتم السجستاني وجلب إلى الأندلس علما كثيرا من الشعر والغريب والعربية والأخبار>>[3]

وأما "سوار بن طارق"، مولى عبد الرحمن بن معاوية، قرطبي<< حج ودخل البصرة ولقي الأصمعي ونظرائه، وانصرف إلى الأندلس وأدب الحكم، ومن ولده، محمد بن عبد الله بن سوار، حجّ أيضا، ولقي أبا حاتم بالبصرة والرياشي وغيرهما، وأدخل الأندلس علما كثيرا>>[4] . ويعد ابن عبد ربه كاتبا وشاعرا أندلسيا ويتجلى ذلك في كتابه العقد الفريد" الذي ذاع صيته في أدب الأندلس.

---

[1] المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب، ج3، ص21

[2] المصدر نفسه ، ص 21

[3] ابن صاعد أحمد الثعلبي الأندلسي، طبقات الأمم، نشر الأب لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912م، ص289

[4] المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب، ج3، ص21

الفصل الأول:

مفهوم وآليات الكتاب:

أولا : بيئة ابن عبد ربه وحياته.

ثانيا : تعريف وتسمية العقد الفريد.

ثالثا : أقسام الكتاب وموضوعاته.

رابعا : قيمة الكتاب وأثره في الدراسات الأدبية.

1 - بيئة ابن عبد ربه وحياته :

إن الحضارة العربية الإسلامية تمثل طائرا له جناحان ، المشرق والمغرب ، على امتدادها الجغرافي << وكانت الحملة الإسلامية في شبه جزيرة أيبيريا، المدخل الجنوبي الغربي لأوروبا، أروع عمل حربي عرفه تاريخ العصور الوسطى، فما هي إلا سنوات سبع (711-717م) حتى تم فتح شبه الجزيرة>> [1]، التي تعتبر من أجمل وأوسع الأقاليم في أوروبا وقدر للحضارة العربية، بعد نصر يبدو وكأنه أسطورة، أن تستقر هناك زمنا، وأن يصبح لها بعد وقت طابعها الخاص المميز، على الرغم من أصولها المشرقية، كماقدر لها أن تكتب أدبها بلغة واحدة وأن تصبح قرطبة مقرها وقد جعل منها السمح بن مالك الخولاني عاصمة أعظم مركز للثقافة في أوروبا، وأن تنال شهرة عربية وعالمية تبعث الرهبة والإعجاب، لقد كان لها إحدى وعشرون ضاحية وفيها سبعون دارا للكتب، مرصوفة الطرق، مضاءة الشوارع، زاخرة بالحمامات العامة، في الوقت الذي كانت فيه جامعة أكسفورد -مثلا- ترى الاستحمام عادة وثنية ومن هنا «كان المجتمع الأندلسي بعامة والقرطبي بخاصة، حضاريا مترفا، بلغ فيه ذوق الناس العام قدرا عاليا من الرّقة وتذوق الفنون الجميلة، يطرب للموسيقى والشعر، ويهتز للإنشاد الجميل، والغناء الحلو تأسره الطبيعة بجمالها وسهولها وجبالها، وشمسها وقمرها، وتميزت حضارته بأنها تعشق المياه الجارية، والبساتين الخضرة والبحيرات المتصلة، والأنوار المنتثرة، في عصر الحصون والأسوار والقصور المظلمة»[2].

---

[1] طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، ص279

[2] المرجع نفسه، ص279.

فسيرورة الحياة البشرية تخضع لقانون التأثير والتأثر ، لذلك << كانت وسائل الثقافة متاحة للناس جميعا وعلى حين لم يكن في حقبة أوروبا من يعرف القراءة والكتابة، باستثناء رجال الدين، كانت معرفتها أمرا عاديا وشائعا في إسبانيا الإسلامية وقل فيها من كان أميا، وكان الحكم الأول يطمح في أن يأتي على الجهالة في دولته، فأنشأ في العاصمة وحدها ولحسابه الخاص، سبعا وعشرين مدرسة كبيرة، يستطيع فيها أبناء الفقراء أن يتعلموا مجانا>> [1] ، وهي ميزة انتشرت وعمت ولم تكن وقفا على العاصمة وحدها، وإنما كانت تماثلها فيها كبريات المدن الأندلسية وأغلبها كاشبيلية والميرية ومالقة وجيان وغيرها وكانت المكتبة الملكية في قرطبة لا تضارع ولا تقارن في شرق أو غرب لكبرها وذخرها النفيس من الكتب، << حتى أن الإمبراطور البيزنطي وجد أن خير هدية يمكن أن يهديها لعبد الرحمن الناصر هي كتاب يونان>> [2]، أحسن تجليده وطبعه وزخرفته وتجميله فكان أغلى وأثمن هدية تقدم لهذا الخليفة وكان عزام الناس بالكتب لا حدّ له، وبلغ من اعتناء أهلها بالكتب، أنهم أخذوا يتجملون بها ويتنافسون عليها، كما يتجمل الناس اليوم باقتناء السجاجيد والملابس والخزف والأواني والطرق الأثرية.

والى جانب ذلك كانت الأندلس بلد العلم والفقه والأدب وكان الأدب سجل اعواطف أهلها وثقافتهم، واليها الرحلة في رواية الشعر ومنها كان علماء الأندلس يشدون الرحال إليها، يبدءون رحلتهم إلى المشرق في أعداد وفيرة، يطلبون العلم في جامعاته، من فقه وتفسير وحديث، وفلسفة وفلك وطب، ولغة وأدب وتاريخ،<< كذلك كانت قرطبة نفسها مقصد كبار علماء المشرق، ممن يرومون الشهرة أو يبغون الثروة، أو يريدون أن يضيفوا إلى عملهم جديدا>>[3]

---

[1] طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب ، ص 279

[2] المرجع نفسه، ص 279، 280 .

[3] المرجع نفسه، ص280

1 ـ 1 مكانة ابن عبد ربه الشعرية

على الرغم من قلة الكلمات التي ذكرها الأدباء في شاعريته فإنها تدل على اعترافهم بكفاءته فقد قال ابن سعيد: «إمام أهل أدب المائة الرابعة وفرسان شعرائها في المغرب كله»[1] هذا الإعتراف الصريح بمكانة ابن عبد ربه عند هذا الأديب وهنا ترفع بشعره فوق الجميع حتى أخذ به منزلة ومكانة مرموقة وذكر "الفتح بن خاقان" أن شعره: «انتهى منتهاه، وتجاوز سِماك الإحسان وسهاه »[2] غير أنه حاز وِساما من أمير الشعر العربي، اعترافا برقة شعره ومقدرته يقول المقري: « أخبرني بعضهم أن الخطيب أبا الوليد بن عيال حجّ، فلما انصرف، تطّلع إلى لقاء المتنبي واستشرف ورأى أن لقياه فائدة يكتسبها، وحلّة فخر لا يحتسبها »[3] فصار إليه، فوجده في مسجد عمرو بن العاص ففاوضه قليلا ثم قال: أنشدني بمليح الأندلس ، يعني ابن عبد ربه، فأنشده .

يا لؤلؤاً يسْبي العقولَ أنيقا * وَرَشاً بتَقطيعِ القُلوبِ رَفيقا**[4]

إلى آخر القطعة

فلما أكمل إنشادها استعادها منه، وقال – يعني المتنبي – « يا بن عبد ربه، لقد يأتيك العراق حبوًا »[5]، وهذه شهادة خص بها المتنبي "ابن عبد ربه" اعترافا بتفوقه في قول الشعر .

---

[1] ابن عبد ربه، ديوان ابن عبد ربi الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره، تحقيق: محمد التونجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، ط1، 1993،ص21 .

[2] المقري ، نفح الطيب ، ج9 ، ص260

[3] المصدر نفسه ، ص261

[4] أبو عبد الله الحميدي ، جذوة المقتبس ، تحقيق: بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط2008،1، ص94

[5] المقري، نفح الطيب، ج9، ص261

ومن جملة من ذكر شعره بالاستحسان الحميدي إذ قال: « إلا أنه غلب الشعر عليه»[1]، كما عرف هذا الأخير شهرة عالمية وأهم من ذكر شعره من الأدباء المحدثين البستاني: «ولولا أن شهرته قامت على كتابه الذي اعتبره بسببه من المؤلفين البارزين لكان جديرا أن يعدّ في طليعة الشعراء في الأندلس»[2]

لقد طرق "ابن عبد ربه " أكثر الفنون الشعرية من مدح وفخر ووصف وزهد وتوبة وأكثر شعره في الغزل كما سنرى واقلّه في الهجاء، ولكنه مع ذلك فصير النفس الشعري وإذ اعتبرنا ما بين أيدينا من القطع كاملة وليس قصر النفس عنده عيبا، فهو ليس عاجزا عن إطالة القطعة ولكنه يلبس الموضوع المتجسّد في شخصه بما يناسبه من عدد الأبيات ونحن في هذه الحال لم ندخل في حسابنا أرجوزته هذا العمل التاريخي يظهر، << ذلك أن النظم في العلوم غير النظم من الوجدان، فذلك قد ينظمه من دون عاطفة وعلى أوقات متفاوتة، ويطيل أو يطنب، و يقصر أو يشذّب تبعا لحاجة الموضوع، وهذا انبثاق من القلب والوجدان، فبقدر الانحباس يتضح القلب[3]

ويرى بعض الأدباء الذين اطلعوا على أرجوزته ومنهم "جبور عبد النور" الذي علل فقال << ومع أنني لا أؤمن بالكم من حيث الجودة، فقد عددت الأبيات التي نظمها، فكانت تزيد على الألف والستمائة بيت، أربعمائة وخمسة وأربعون منها أرجوزته التاريخية، ومائة وثلاثة وتسعون منها أيضا أرجوزته العروضية>> [4] ، وإذا أسقطنا من الحسبان البعض منه كالجزء الذي نظم برهانا وامتثالا وتقليدا ومعارضة، ثم بقي من حيث الكيف، القليل ، وإن جعلناها كلها وجدنا بين أيدينا ، من حيث الكمّ ، مجموعة ذات اهتمام وبال.

---

[1] أبو عبد الله الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص94

[2] بطرس البستاني، دائرة المعارف، ج3، بيروت، دط، 1883، ص339

[3] ابن عبد ربه، ديوان ابن عبد ربه الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره، ، ص22

[4] المرجع نفسه، ص23

ومع ذلك فهي ليست كل ما نظم فقد قال الحميدي: «شعره كثير مجموع، رأيت منه نيفا وعشرين جزءا من جملة ما جمع للحكم بن عبد الرحمن الناصر، وفي بعضها بخطة »[1] وابن عبد ربه نفسه كثيرا ما يقول: << ومن قولنا....أو: ولنا في مثل هذا الكلام منه>>[2]، وبعض الأدباء الذين اختاروا من شعره، كان اختياره من القصائد نبذا لا من القصائد قصائد لأنه أبدع في النظم والانتقاء.

غير أنه كان شديد الافتخار بشعره، كثير الاعتزاز به، ومن ذلك قوله: وقد وصفنا الحرب بتشبيه عجيب لم يتقدم اليه، ومعنى بديع لا نظير له:[3]

وجيشٍ لِظَهرِ اليمِّ تنفخُهُ الصَّبا * يعُبُّ عبوباً من قَنَاً وقنابلِ**

كما وضح وأكد قوله: «وقد قلنا في هذا المعنى ما هو أحسن من كلّ ما تقدّم» [4] وإن تباسط في تباهيه أو تواضع رغم قدرته في النظم والتأليف قال: «أو مثله» أو «ومن قولنا» ولكن هذه المباهاة تشتدّ وتتأزّم عندما يقف أمام قصيدة "صريع الغواني" وبعد المقارنة يعارضها، فبعد أن يورد قصيدته وقطعة صريع الغواني يختم قوله بـ:

«فمن نظر إلى سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقة طبعه، لم يفضله شعر صريع الغواني عنده إلا بفضل التقدم »[5]، والحق أنه وفق في هذه المعارضة، وليس فخره في شعره منصبّا على هذه الجمل ولا نابعا من خلف المعارضات إنما يعتبر ما يقوله أفضل مما قاله كل الشعراء قبله: [6]

هنا تَفْنَى قَوافي الشِّعـ * ـرِ في هذا الرويِّ**

---

[1] عبد الله الحميدي، جذوة المقتبس، ص94.

[2] ابن عبد ربه، ديوان ابن عبد ربه الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره، ص22.

[3] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1،مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص112.

[4] المصدر نفسه ، ج5، ص339.

[5] ابن عبد ربه، ديوان ابن عبد ربه الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره، ص24.

[6] المرجع نفسه، ص24.

قوافٍ أُلبِستْ حَلْياً * من الحُسنِ البديِّ**

تعالتْ عن جريرٍ بلْ * زهيرٍ بل عَدِيِّ**

غير أننا إذا عدنا إلى ديوانه، وطالعنا موضوعاته، وأمعنَّا النظر، في القطع قطعة قطعة بل بيتا بيتا، ودرسناه بتعمق وجدنا أكثر شعره تقليدا لغيره ولاسيما الغزلي – فقد قلّد– مسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف، وعمر بن أبي ربيعة وجميل بن معمر وهم فحول الشعر الغزلي في ذلك العصر وكان يحالفه الحظ بالتوفيق حينا، ويجفوه أحيانا أخرى، ونحن من وراء هذا التقليد أو المعارضة – آونة – نستشفُّ وندرك حبَّه لتقليد المشارقة على قرب شعراء الغزل الأندلسي منه وجمود عاطفته، وقلة ابتكاره، وبالتالي مقدرته على إتيان بعض المعاني الجيدة والرقيقة من وراء هذا التقليد أو هذه المعارضة، فإما أنه يتذكّر موضوعًا عرض فيقول فيه بمعنى نظم غيره فيه، وإما يذكر قطعة أخرى فيباريها بواحدة من عنده.

كما اهتم بالعروض وقد نجد بعض شعره صناعة للعروض، << فله الأرجوزة العروضية التي دونها في خاتمة الديوان، وعدّتها 193 بيتا>> [1]، بالإضافة إلى القطع التي نظمها تتمة لشواهد الخليل على بعض العلل العروضية وتكملت لها، ونرى كذلك اصطناعه وابداعه بعض القطع على تسلسل أحرف الهجاء وهي غاية في الصنعة والإنجاز، سبق فيها أهل «البديعات» في عصر المماليك، ونراه أيضا يكرر في المعاني كثيرا، ولعل بسبب ذلك راجع إلى انه نظم قطعة في حين من الزمان، ثم أعادت إليه

[1] ابن عبد ربه، ديوان ابن عبد ربة الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره، ص24.

الذكرى الحدث الذي نظم من أجله قبلا فينظم عليه ثانية وهذا دليل على أنه كان غير ملتزم بحدث معين، أو يكون قرض أو إستلاف قطعةً ثم أراد تقليد أحد الشعراء وكان المعنى يشابه ما قاله قبلا فلا يهمه الإعادة، ومثل هذه الأمور كلها في الغزل فمثلا يقول:[1]

أضْنينني بلواحظٍ تشكو الضَّنى * كسوْنَني ما هُنَّ منهُ عوارِ**

وإذا كان مؤرخوا عصره قد مروا بالجانب الثاني من حياته وهذا إن دل على شيئ فهو دليل على بذخ الحياة في ذلك الوقت تأثر به سراعا، ورعًا منهم أو إجلاله فقد اعترف بأنه يحب سماع الموسيقى والأغاني، على طريقة أهل المدينة، وانه يشرب النبيذ جاريا على مذهب أهل العراق دنينا في السماع، دين مديني، وفي شربنا الشراب عراقي، وقد دافع عن الغناء في "عقده": «إن كانت الألحان مكروهة فالقران والآذان أحق بالتنزيه عنها، وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج إليها »[2] وقد حار المتأخرون من علماء المشرق والمغرب في أمره إزاء المتناقض من خبره فحينما << يمدحه صاحب "بغية الملتمس" بأنه كانت له ديانة وصيانة وهذه شهادة هذا الأديب بأن ابن عبد ربه كان متمسكا بدينه ويقول عنه إرشاد الأريب: فيما معناه وكانت: لأبي عمر بالعلم جلاله جلالة، نجد فيما وصلنا من شعره ومن الملامح العامة "لعقده" أنه عب من المباهج الحسّيّة لعصره، وشارك فيها كان يجري حوله من طرب وشرب ولهو >>[3]

ولم تكن الثقافة العربية الإسلامية في إشراقها وازدهارها وتطورها وقفا على المسلمين دون سواها من سكان الأندلس وإنما شملت بقية العناصر الأخرى من مسيحيين ويهود، ومن أجناس وتحفظ كتب التاريخ الاسبانية شكوى مريرة أرسلها «ألفارو» أسقط قرطبة

---

[1] ابن عبد ربه، ديوان ابن عبد ربة الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره، ص22.

[2] طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب ، ص281 .

[3] ينظر، المرجع نفسه ، ص281.

يشكو فيها من تابعيه من المسيحيين أهملوا كلية دراسة اللغة اللاتينية واقبلوا على اللغة العربية عن إعجاب وحبٍّ، يحفظون أشعارها وقصصها ويبدعون بها شعرا جميلا هز أركان قرطبة، لا يقل روعة عما يبدعه العرب أنفسهم فلا غرو أن وصفتها الألمانية روسفيتارت حوالي 1002م في قصيدة لها بأنها " جوهرة العالم المتألقة مدينة حديثة رائعة، زهوة بمنعتها، نافقة بمباهجها، مختالة بثقافتها فاضت ينابيع المعرفة السبعة بها، وطبق اسمها الآفاق، أبد الدهر، بما أحرزت من نصر متواصل [1] .هي قرطبة هذه العاصمة التي علا صداها فأسمعت العالم كله بثقافتها وحضارتها المتطورة.

2 تعريف و تسمية العقد الفريد:

كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي هو موسوعة أدبية ، تجمع بين المختارات الشعرية والنثرية ، ولمحات من التاريخ والأخبار ، مع الأخذ بنظرات في البلاغة والنقد مع شيء من العروض والموسيقى، وإشارات للأخلاق والعادات، وقال ابن عبد ربه << قد ألفت هذا الكتاب ، وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان، فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب، وإنما لي فيه تأليف الأخبار، وفضل الإختيار، وحسن الاختصار، وفرش في صدر كل كتاب، وأما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء، ومأثور عن الحكماء والأدباء. واختيار الكلام أصعب من تأليفه>> [2]

كما عرفه أحمد حسن الزيات << كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي من أمهات كتب الأدب، وهو جامع لكثير من الفوائد ومنثور المسائل في الأخبار، والأنساب والأمثال والشعر والعروض، حتى الطب والموسيقى. وقد استوعبت خلاصة ما دون من كتب الأصمعي وأبي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة وغيرهم>> [3] .

---

[1] طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب ، ص280، 281 .

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص4

[3] احمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، مصر للطبع والنشر، القاهرة، الفجالة، دط،دت ،ص323

- **شهرة ابن عبد ربه بكتابه «العقد الفريد»:**

كانت شهرة ابن عبد ربه نابعة من نجاح كتابه العقد الفريد ،وليس لابن عبد ربه بين أيدينا كتاب آخر، وان كان حاجى خليفة في فهرس (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون)<< ذكر أن له مؤلفا ثانيا اسمه "اللباب في معرفة العلم والآداب" ولم ترد إليه إشارة في مصدر آخر، ولم يعثر له على اثر، ومن هنا يظن أن اللباب في معرفة العلم والآداب ليس إلا جزءا كبيرا منه، يصلحان للدراسة والحكم عليه شاعرا>>[1] .

وبقي من كتب الأديب الأندلسي ابن عبد ربه كتاب "العقد " وحده ، وليس ذلك بالقليل فهو يمثل الآن في الحياة الثقافية والأدبية والعلمية المرتبة التي تلي كتاب الأغاني لأبي

فرج الأصفهاني و قد درج الناس على تسميته بالعقد الفريد دون شك يراودهم في أن زيادة لحقت اسمه، أو تحويرا أصابه إلى أن كتب *المستشرق الألماني **بروكلمان** مادة "ابن عبد ربه" في دائرة المعارف الإسلامية فأوضح أن كلمة "الفريد" أضافها المتأخرون دون أن يستطرد إلى ذكر ما يساند رأيه، وإن يكن من الواضح الآن << أن العالم الألماني قرر ذلك اعتمادا على أن جميع المصادر الأولية، لا يرى فيها العقد منعوتا بالفريد، فلا الفتح بن خاقان في «مطمح الأنفس» ولا ياقوت في "معجم الأدباء" ولا صاعد الأندلس في "طبقات الأمم" ولا ابن خلكان في "وفيات الأعيان" ولا المقري في "نفح الطيب">>[2].

---

[1] احمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص323.

[2] طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، ص283، 284

*لمستشرق الألماني بروكلمان: ولد 1868 في مدينة روستوك تحصل على الدكتوراه عام 1890 اهتم بدراسة التاريخ الاسلامي، توفي 1956(ask.com WWW.int.search.tb، يوم 2015/06/12، على الساعة 15 مساء)

3 – أقسام الكتاب وموضوعاته:

كتاب العقد الفريد كتاب جامع لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة لذلك لزم صاحبه تجزأته حسب ما جاع فيه من موضوعات << قسم صاحب العقد مؤلفه إلى خمسة وعشرين كتابا في خمسة وعشرين فنّا، ثم تصوره عقدا مؤلفا من خمسة وعشرين جوهرة كريمة، اثنتا عشرة في جانب، واثنتا عشرة أخرى في جانب، وجعل للعقد واسطة، لكنه لم يسمّ إلاّ اثنتا عشرة الأولى وهي اللؤلؤة ولفريدة والزبر جدة، والجمانة، والمرجانة، والياقوتة، والجوهرة، والزمردة، والدرّة، واليتيمة والعسجدة، والمجنبة، أما الإثنتاعشرة التي في الجانب الآخر فهي هذه الأسماء مكررة فاللؤلؤة الثانية، والفريدة الثانية.....الخ>> [1] ومن هذه التجزأة بظهر ابن عبد ربه براعة مع دقة السبك وحسن النظام ووضع الكتب بشكل متناظر زادها تجانسا في المعاني وتوافقا في المذاهب.

[1] طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، ص284، 285.

1 – اللؤلؤة في السلطان
2 – الفريدة في الحروب ومدار أمرها
3 – الزبر جدة في الأجواد والأصفاد
4 – الجمانة في الوفود
5 – المرجانة في مخاطبة الملوك
6 – الياقوتة في العلم والأدب
7 – الجوهرة في الأمثال
8 – الزمردة في المواعظ والزهد
9 – الدرة في التعازي والمراثي
10 – اليتيمة في النسب وفضائل العرب
11 – العسجدة في كلام الأعراب
12 – المجنبة في الأجوبة
13 – الواسطة في الخطب
14– المجنبة الثانية في التوقيعات و الفصول و أخبار الكتبة
15 – العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأيامهم
16 – اليتيمة الثانية في أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة
17 – الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعهم
18 – الزمردة الثانية في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه
19 – الجوهرة الثانية في أعاريض الشعر وعلل القوافي
20 – الياقوتة الثانية في علم الألحان واختلاف الناس فيه
21 – المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن
22 –الجمانة الثانية في المتنبيئن والممرودين والبخلاء والطفيليين
23 – الزبرجدة الثانية في بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان
24 – الفريدة الثانية في الطعام والشراب
25 – اللؤلؤة الثانية في النتف والهدايا والفكاهات والملح [1]

[1] طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، ص285

وأورد كثيرا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأخذ عن التوراة والإنجيل، وامثل بكثير من الحكم الفارسية والهندية، واقتبس من أرسطو، وهي معارف توجد متناثرة بكثرة وموزعة في المصادر المشرقية التي نقل عنها وأخذ منها.

لكن ابن عبد ربه الأديب الشاعر لم يقف عند المصادر المشرقية وحدها، ولم يقف بكتابة عند المأثور المشرقي وحده، وإنما عرض لتاريخ أمراء الأندلس حتى زمنه وعصره، وخص عبد الرحمن الناصر الخليفة الأندلسي بأرجوزة أورد فيها مآثره وغزواته وانتصاراته حتى زمنه، وان يكن حظ الأندلس فيها قليل، إذا قيس بما خص الشرق الإسلامي، متواضعا قليلا، وهي ملاحظة أبداها وذكرها علماء المشرق أنفسهم رووا ولاحظو أن الصاحب بن عباد حين قرأ "العقد" قال: «هذه بضاعتنا ردت إلينا، ظننت أن هذا الكتاب يشمل على شيء من أخبار بلادهم، وإنما هو مشتمل على أخبار بلادنا، لا حاجة لنا فيه»[1] وهي مقولة لا تعيب صاحب العقد ابن عبد ربه، ولا تقلل من قيمة الكتاب، هذا وقد عرفت الأندلس منهجين في التأليف، أحدهما يعني بالأندلس ورجاله فحسب، يدرسهم ويسجل أخبارهم وآثارهم «كما فعل الفتح بن خاقان في "مطمح الأنفس" وابن بسام في "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " وأخرى عينت بأدب المشرق في المكان الأول، تدرسه وترحل إلى مصادره وتعود فتدرسه وتذيعه بين مواطنيها، فالسبيل لأية نهضة ثقافية، في أي أمة أن تفتح عقلها وقلبها أمام الثقافة الوافدة، تفيد منها وتتمثلها، دون أن تفقد معها شخصيتها وأن تبدع لنفسها، فلا تعيش عالة على غيرها» [2] .

نجد فيما وصلنا من شعر ابن عبد ربه الذي تناولته الكتب، ومن الملامح العامة لعقده هذا الكتاب المميز، أنه عبء من المباهج الحسية لعصره وزمانه، وشارك فيما كان يجري حوله من طرب وشرب ولهو، ولاتناقض بين الروايتين أي رواية صاحب بغية الملتمس.

---

[1] طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب ، ص286.

[2] المرجع نفسه، ص287.

ورواية صاحب إرشاد الأريب، فإحداها تصفه شابا مقبلا على الحياة، آخذا من مباهجها بقدر واسع والأخرى تتحدث عنه شيخا، مدبرا عن الدنيا زاهدا فيها محبا لدينه، يحاول أن يتزود لآخرته بأوفى نصيب وخير الأعمال ومصداق ذلك أنه عمد في أخريات أيامه قبل وفاته إلى أشعاره في الغزل والشراب فمحصها ونقضها بمثيلها في المواعظ والزهد، وسماها، الممحصات وجعلها على أعاريض تلك وقوافيها فقصيدته الغزلية:

هلاَّ ابتكرتَ لبينٍ أنتَ مبتكرُ * هيهاتَ يأبى عليكَ اللهُ والقدرُ**
ما زلتُ أبكي حذارَ البينِ ملتهفاً * حتَّى رثى ليَ فيكَ الرِّيحُ والمطرُ**
يا بردهُ منْ حيا مُزنٍ على كَبِدٍ * نِيرانُها بِغليلِ الشَّوْقِ تَسْتَعِرُ**
آليتُ ألاّ أرى شمساً ولا قمراً * حتى أراكَ ، فأنتَ الشمسُ والقمرُ[1]**

فقد نقضها بقوله:

يا عاجزاً ليسَ يَعْفُو حينَ يقْتدرُ * ولا يُقَضَّى له مِن عِيشَة وَطَرُ**
عاينْ بِقَلْبِكَ إنَّ العَين غافِلَة * عنِ الحقيقة ، واعلَمْ أنَّها سَقَرُ**
سَوداءُ تَزْفُرُ عنْ غَيْظٍ إذا سُعِرَتْ * للظالمينَ فلا تُبقي ولا تَذَرُ**
إنَّ الَّذينَ اشْتَرَوا دُنْيا بِآخِرَة * وشِقْوَة بنعيمٍ ، ساءَ ما تَجَروا**
يا مَنْ تَلَهَّى وشَيْبُ الرأسِ يَنْدُبُهُ * ماذا الذي بَعدَ شَيْبِ الرأسِ تَنْتَظِرُ**
لو لم يكُنْ لكَ غيرَ المَوتِ موعظة * لكانَ فيهِ عَنِ اللَّذَّاتِ مُزْدَجَرُ**
أَنتَ المَقُولُ لَهُ ما قُلْتُ مُبْتَدِئاً * هَلاَّ ادكَرْتَ لِبيْنٍ أنْتَ مُبْتكِرُ[2]**

لا يعرف لابن عبد ربة نثر يمكن أن يستدل به على مكانته ومنزلته في الكتابة غير مقدماته لأبواب عقده، وهي تمتاز بالايجاز بالوضوح والرقة في الأسلوب والخلو من الغريب والغموض، والبعد عن التكلف والتعقيد، والازدواج في العبارة، مع وضوح وسهولة في التعبير وجزالة وليونة في اللفظ.

---

[1] طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، ص281

[2] المرجع نفسه، ص282

أما شعره فكان موضع إعجاب القدامى وتقديرهم، ذكره الفتح بن خاقان في "مطمح الأنفس" حين قال: «إنه حجة الأدب وإن له شعرا انتهى منتهاه وتجاوز سماك الإحسان وسهاه»[1].

وقال عنه ابن سعيد المغربي في "المرقصات والمطربات" فيما معناه إمام أهل أدب المائة الرابعة وفرسان شعرائها في المغرب كله وذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان فيما معناه أن له ديوان شعر جيد » وروى ياقوت في إرشاد الأريب أن أبا الوليد بن عسال لقي المتنبي في مسجد عمر بن العاص=، وأن المتنبي قال له: أنشدني لمليح الأندلس، يعني ابن عبد ربه فأنشد: [2]

يا لؤلؤاً يسْبي العقولَ أنيقا * وَرَشاً بتَقطيعِ القُلوبِ رَفيقا**

ما إنْ رميتُ ولا سمعتُ بمثلهِ * دُرَّاً يعودُ مِنَ الحياءِ عَقيقا**

وإذا نظرتَ إلى محاسنِ وجههِ * أبصرتَ وجهكَ في سناهُ غريقا**

يا منْ تقطَّعَ خصْرُهُ منْ رقة * ما بالُ قلبكَ لا يكونُ رقيقا**

فاستعاده أي أعاده المتنبي ثم صفق بيديه وقال: «يا ابن عبد ربه، لقد يأتيك العراق حبوا» [3] واختلف المحدثون من العلماء بإزائه، فإن الدكتور أحمد ضيف، في بلاغة العرب في الأندلس يرى في شعر ابن عبد ربه أنه كان «من قبيل الصناعة وحب الكلام الجميل، لأنه كان يميل إلى قول الشعر ونظم الكلام، لا ممن خلقوا شعراء».[4]

---

[1] طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، ص282

[2] ابن عبد ربه، ديوان ابن عبد ربه مع دراسة لحيلته وشعره، ص119

[3] المرجع نفسه، ص283

[4] طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، ص282

والمستشرق الاسباني[1] أنجل جنثالث بالنثا Angel Johntaleth Benthia يرى في كتابة "تاريخ الفكر الأندلسي" «نذكر من قال أنه كان شاعر بلاط فقط، ولم يكن ذا شاعرية ممتازة» [2] وأحمد أمين في «ظهر الإسلام» يرى أن «ابن عبد ربه غير واضح الشخصية، يسير في ركاب المشارقة، ويجتهد ما استطاع أن يأخذ من معانيهم، ويزيد عليها، ويختار في كل نوع من الشعر إماما من المشارقة فطورا إمامه صريع ال غواني، وطورا أبو العتاهية وغيرهم، لم يتحرر تحررا كافيا ولم يصغ إلى قلبه قط »[3] لزم ابن عبد ربه الأندلس ولم يتركها طوال حياته، فلم تعرف له أي رحلة أو سفرة إلى بلد آخر ومعارفه الواسعة والكبيرة عن الثقافة المشرقية جاءت من أساتذته، ممن رحلوا إلى المشرق، ومن قراءته، ومن صلاته بعلماء المشرق الوافدين والقادمين على الأندلس، وهناك من يظن ويشرك أن له رحلة اعتمادا على الوصف الدقيق الذي أورده للحرمين الشريفين في أخر العقد، والواقع أن هذا الوصف مما أضيف إلى العقد بعد وفاة المؤلف، إلى جانب أخبار أخرى،<< بالمرض الذي مات به الجاحظ من قبل، وأبو الفرج الأصفهاني، من بعد أصيب ابن عبد ربه، فمات بالفالج عام 940 وهو ابن الواحد وثمانين عاما>> [4]

---

[1]*أنجل جنثالث بالنثا: ناقد أدبي إسباني اهتم بالفلسفة الإسلامية والأدب العربي في الأندلس، ولد في 1889 وتوفي 1949(WWW.alukah.net/culture/0/6850 يوم 2015/06/13، على الساعة 10صباحا)

[2] طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، ص119

[3] المرجع نفسه، ص283

[4] المرجع نفسه، ص283

3 1 - منهج الكتاب

أورد لنا ابن عبد ربه الأندلسي منهجه في تأليف كتابه العقد الفريد واضحا في مقدمته فقال: إنه يختار ويحسن الاختيار، وينتقي جواهره من خير ما في الأدب، ومن جوامع الكلم ،و إن له «تأليف الأخبار وفضل الاختيار، وحسن الاختصار، فرش في صدر كل كتاب، وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ومأثور عن الحكماء لأدباء واختيار الكلام أصعب من تأليفه، وقد قالوا: اختيار الرجل وافد عقله».[1]

كما وصف المؤلف هذا الكتاب ومحتوياته وبين << إنه نخل نظائر الكلام، وأشكال المعاني، وجواهر الحكم، و ضروب الأدب، ونوادر الأمثال، ثم قرن كل جنس منها إلى جنسه، فجعلته بابًا على حدته؛ ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب، ونظيره في كل باب>> [2] .

وذكر أن مختارات الكلام كانت هدفا انتهجه في تأليفه للكتاب وإنه تخير من مجموعة الأبحاث طريفة قيمة جملة الأخبار وفنون الآثار أشرفها جوهراً، وأظهرها رونقاً، وألطفها معنى وأجزلها لفظاً وأحسنها ديباجة، وأكثرها طلاوة وحلاوة.

واعتمد التخفيف في جل ما دونه في هذه الموسوعة << وإنه حذف الأسانيد من أكثر الأخبار طلباً للاستخفاف والإيجاز، وهرباً من التثقيل والتطويل لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادر، لا ينفعها الإسناد باتصاله، ولا يضرها ما حذف منها>>[3].

---

[1] طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، ص288

[2] المرجع نفسه، ص288

[3] المرجع نفسه، ص288

ولقد اتسم الكتاب بالثقافة العامة والتنوع والشمولية وسهولة المأخذ والتفنن في جمع كل نفيس من كل العلوم والفنون، عرض ابن عبد ربه منهجه في مقدمة كتاب بوضوح تام ويمكن تلخيص خطوطه العامة فيما يلي:

اختيار المادة :

إن الغاية الأولى من تأليف الكتاب هي أدبية محضة وقد جمع القسم الأكبر من مادة كتابه كما قال: «....من متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان فكان جوهر الجواهر ولب اللباب وإنما لي فيه تأليف الأخبار وفضل الاختيار...»[1] وهذا يبرز لب الكتاب ومضمونه.

تأليف الأخبار:

وترتيب المعاني والعبارات وتنسيقها حسب مضامينها بما يدفع ويسهل على القارئ الرجوع إلى كل باب من أبوابه يختص بما يروم الاطلاع عليه من الموضوعات وبذلك يتضح المعنى ويسهل الفهم.

التركيز على المعاني الشريفة السامية:

ذات الألفاظ الحسنة والعبارات الجزلة للقارئ سمو المعنى وشرفه إلى رقة اللفظ وعذوبته وسهولته ووضوحه فقال في ذلك: «فتطلبت نظائر الكلام وأشكال المعاني ونوادر الأمثال ثم قرنت كل جنس إلى جنسه فجعلته بابا على حدته ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره من كل باب...»[2].

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص2

[2] حازم عبدالله، مجلة آداب الرافدين، العدد السابع، العقد الفريد بين المشرق والأندلس،1975 ، ص357

وقال أيضا في التأكيد على اختيار المعاني والألفاظ: « وقصدت من جملة الأخبار والفنون أشرفها جوهرا وأظهرها رونقا وأجزلها لفظا وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة....» [1].

حذف الأسانيد:

وفقد أشار ابن عبد ربه إلى انه تحاشى ذكر أسانيد الإخبار التي أوردها وعلل تصرفه هذا بصراحة ووضوح فقال: « وحذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلبا للاستخفاف والإيجاز وهربا من تثقيل وتطويل لأنها أخبار ممتعة...» [2].

حيث حرص ابن عبد ربه على أن يكون كتابه جامعا لشتى الموضوعات والأخبار والمعاني بخاصة وأنه – كما يقول – قد نظر في الكتب المؤلفة فوجدها تفتقر إلى صفة الشمول على العموم فأراد أن يسد هذا النقص ويكمل ما فات تلك المؤلفات فقال: « وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرفة في فنون الأخبار ولا جامعة لجمل الآثار فجعلت هذا الكتاب كافيا (شافيا)جامعا لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة تدور على ألسنة الملوك والسوقة وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر....»[3].

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد ، ج3، ص4

[2] المصدر نفسه، ج3، ص4

[3]حازم عبدالله، مجلة آداب الرافدين، العدد السابع،، ص358

3 2 -مادة الكتاب:

لقد تبوأ ابن عبد ربه منزلة رفيعة في مجالي العلم والأدب، حتى عد من الأدباء والأعلام نظر ابن عبد ربه في بعض الكتب فوجدها غير متصرفة في فنون الأخبار، ولا جامعة لجمل الآثار، فجعل كتابه العقد شافيا جامعا لأكثر المعاني التي تجري هنا وهناك على أفواه العامة والخاصة، تدور على ألسنة الملوك في ذلك العصر والسوقة، وزود كل كتاب من كتبه منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها، وتوافقها في مذاهبها، وقرن وألصق بها غرائب من شعره، ليعلم المتصفح والناظر في كتابه أن للمغرب على قاصيته، ولبلده على انقطاعه، حظّا من المنظوم والمنثور.

يعد كتاب العقد واحدا من المصادر الهامة لتأريخ الحياة العربية الإسلامية بجوانبها المختلفة سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية.

فهو يضم بين طيات صفحاته مادة وافرة من الأخبار والآثار والقصص والوثائق، التي تعين على تصور حركة، تطور المجتمع العربي الإسلامي فكتاب السلطان – مثلا– يعطي صورة واضحة عن سياسة وحكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقابته للعمالة والرسائل المتبادلة بينه وبينهم فيما يتصل بالثراء الفاحش والكبير الذي أصابوه فجأة، بعد أن تولّوا له العمالة، في هذا القطر أو ذاك من الإمبراطورية الإسلامية الشائعة، وفي كتاب الحرب حديث طويل ومفصل عن فرسان العرب في جاهليتها وإسلامها، وعن حروب الأزارقة وغزواتهم وتاريخهم وأبطالهم وآرائهم، وتفوقهم وأقوال كل فرقة، << وانفرد بذكر أخبار لم تحفظها لنا بقية المصادر الأخرى، والى جانب ذلك سلمت أخبار العقد.

نسبيا من التشويه والتحريف والبتر، ومن هنا يمكن الاعتماد عليه في المقابلة بين النصوص المختلفة>> [1].

3 3 - خصائص الكتاب:

يتميز كتاب العقد عن الكتب القديمة بأنه مقسم موضوعيا إلى خمسة وعشرون جزء، فكل ما يتصل بالسلطان مثلا من حقوق وجلساء، ووزراء، وأعوان، وولاة وقضاة، وحجاب واستبداد، تجده في مكان واحد أي في كتاب واحد.

وما يتصل بالوفود العربية في الجاهلية والإسلام، التي قدمت على كسرى في فارس أو على ملوك العرب في الحيرة واليمن، أو على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وصفات القادمين والوافدين وأعدادهم، وما قالوا، وما قيل لهم، كل ذلك في كتاب آخر مما يسهل عملية القراءة والإفادة منه على نحو وافر كبير، << ويعتبر بحثه في العروض من أكمل البحوث التي وصلت إلينا فقد ضمنه كل الشواهد التي وضعها الخليل ابن أحمد الفراهيدي لبحور الشعر، ثم أضاف إليها مقتطفات غزلية ليسهل حفظها>>[2] .

وعلى الرغم من ذلك كله، فان كتاب العقد كغيره، وربما على نحو أقل خضع لألوان من الزيادة والتحريف، من قبل الرواة أو النساخ، ربما كان أصحابها يرون الزيادة في العلم والمعرفة خيرا، أو صنعوا ذلك مدفوعين بأغراض أخرى، << ومن الموضوعات التي وردت فيه، وتثير الشك على نحو قوي، الوصف الدقيق الذي أورده للحرمين، والذي لا يتأتى إلا لمن رآهما رأى العين وابن عبد ربه لم يبرح الأندلس، على أرجح الآراء، وكذلك حديثه في تراجم الخلفاء العباسيين عن أربعة منهم توفوا بعده >>[3] .

---

[1] طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، ص288.

[2] المرجع نفسه، ص289.

[3] المرجع نفسه، ص289.

وهو لا يمحص ويصحح الأخبار، ولا يقف منها موقف الفاحص المدقق الرقيب وإنما يعرضها، كيفما تأتت له، فيذكر في مكان من كتاب العقد أن معاوية توفي وولده يزيد عنده وهو بقربه، ثم يشير في مكان آخر إلى أن يزيد كان بعيدا جدا عن دمشق حين وافت المنية معاوية، ثم يعرض لأشياء هي إلى الخرافات والأساطير أقرب، دون أن يكتب ويعلق عليها، أو «يثير شذوذها، كحديثه عن رجل عاش مائة وتسعين عاما ثم اسود شعره، ونبتت أضراسه، وعاد شابا »[1]، نقل عن كتاب العقد الفريد كثير ممن جاءوا بعده، وأفادوا من مادته الوفيرة والغزيرة، مثل << الابسيهي في كتابه: "المستطرف من كل فن مستظرف" واعترف بذلك في مقدمة كتابه، وابن خلدون في تاريخه والقلقشندي في كتابه "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء" والبغدادي في خزانة الأدب وغيرهم>>[2] .

من استيعاب ودرس مادة العقد يبدو أن مؤلفه ابن عبد ربه الأندلسي كان يهدف إلى وضع دائرة معارف صغيرة تفي مطالب الأديب على النحو الذي كان يطلب منه في ذلك العصر والزمان، من الإلمام بطرف من كل علم، فهو يعرض لكل ضروب المعرفة في عصره، على النحو الذي ازدهرت وتطورت عليه في المشرق، على يد الجاحظ والمبرد وابن قتيبة، وآخرين وكان مؤلف ابن قتيبة "عيون الأخبار" من أهم وأوضح المصادر الشرقية أثرا في العقد الفريد، وكان رائجا في الغرب الإسلامي، يقبل الناس هناك على دراسته واستيعابه، وتميز مؤلفه من بين معاصريه ومن سبقهم، بحسن تبويب كتبه، وقد قسم "عيون الأخبار" إلى <<عشرة كتب: السلطان والحرب والسؤدد، والطبائع، والأخلاق، والعلم، والزهد، والإخوان والحوائج، والطعام والنساء>> [3] وكان يسوق الباب ثم يتبعه بها.

---

[1] طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، ص298.

[2] المرجع نفسه، ص289.

[3] المرجع نفسه، ص289

هو قريب إليه أو مناسب له، وهو نفس المنهج الذي سلكه واستخدمه ابن عبد ربه في تبويب كتاب العقد، بل اخذ ابن عبد ربه أكثر مادة "عيون الأخبار" ونقلها إلى كتابه وهو يعترف أحيانا بأخذه منه، ويسكت أحيانا أخرى وهذا دليل على اقراره بأخذ من كتاب "عيون الأخبار".

كما أفاد مما حكاه وذكره أبو عبيدة في "النقائض" و "أيام العرب" ومن الجاحظ في "البيان التبيين" فنقل عنه فصولا في العتاب واستنجاز الوعد، والاعتذار وكتابة الرسائل ومن المبرد في "الكامل" فأخذ عنه الكثير من أخبار الخوارج، وتعرض له و للجاحظ في عرض مادة كتاب العقد الفريد، فلقد كان ابن عبد ربه يتعامل بأدبية محضة مع أدباء عصره << فذم المبرد ودافع عن الحاجظ، ومن ابن المقفع في أدبيه الصغير والكبير وكليلة ودمنة، ومن الطبري في "تاريخ الأمم والملوك" ومن ابن سلام الجمحي في "طبقات فحول الشعراء" وآخرين كثير[1] .

4 -قيمة الكتاب وأثره في الدراسات الأدبية:

كتاب العقد الفريد يشترك مع سائر كتب الأدب في الخصائص التي سادت المؤلفات في ذلك العصر فهو ذو طابع أدبي موسوعي تتسم مادته بالغزارة والتنوع ويحتوي على نصوص الشعر والنثر والخطب والوصايا والرسائل والحكم والأمثال كما حوي معارف في الفقه والحديث والتاريخ والعروض واللغة والأخبار واشتمل الكتاب أيضا على وصف مجالس اللهو والطرب ....والشراب وهذه ملامح اتسم بها أهل الأندلس.

[1] ينظر: طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب ، ص286

وان الحديث عن كتاب "العقد الفريد" هو حديث عن نماذج الموسوعات العلمية الأدبية التي ذاع صيتها، والتي ينبغي أن يتعرف عليها أبناء أمّتنا، كغيره من موسوعات التراب العربي.

يقول عنه الثعالبي – صاحب "يتيمة الدهر" في ترجمته له «إنه أحد محاسن الأندلس علما وفضلا وأدبا ومثلا، وشعره في نهاية الجزالة والحلاوة، وعليه رونق البلاغة والطلاوة»[1] ويعد الكتاب الأول في الأندلس من حيث الإفاضة والشمول والتنوع وكثرة التمثل عن أدب المشارقة، كما يعد أيضا مصدرا مهما لمن يريد التعرف على حياة العرب الأدبية والاجتماعية والسياسية وغيرها.

ومما يؤكد أهمية الكتاب إشادة العلماء به، ونقلهم عنه حين تأليفهم كالابشيهي في "المستطرف" والبغدادي في "خزانة الأدب" وابن خلدون في" المقدمة".

اهتم القدماء بكتاب العقد لابن عبد ربه الأندلسي حتى أنهم كانوا يعرفون به صاحبه فيقول كثير منهم: ابن عبد ربه صاحب العقد نقرأ هذا في عشرات من المصادر الأندلسية والمشرقية، وحين يكون الكلام في العقد نفسه فنقرأ من صور وصفهم له واهتمامهم به قول أحدهم بعد أن عرف بابن عبد ربه «وله التأليف المشهور الذي سماه بالعقد وحماه عن عثرات النقد لأنه أبرزه مثقف القناة مرهف الشباة تقصر عنه ثواقب الألباب وتبصر السحر منه في كل باب...»[2] فالكتاب أشبه بحبات العقد فمأن الكاتب ضبط النصوص.

---

[1] ينظر: الثعالبي، يتيمة الدهر، تحقيق مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1403هـ، 1983م، ص5 .

[2] ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس، ص58.

من ناحية التصنيف والتبويب « ويصفه بعضهم بأنه من الكتب النفسية أو أنه الكتاب الكبير الذي حوى كل شيء...»[1].

ويرى مؤرخ أندلسي آخر أن ابن عبد ربه من أعلام الأندلس ويعد «من [2]مفاخر الأندلس وشعرائها وعلمائها المتقنين وكبرائها أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الذي أنجد وغار وملا بذكره الآفاق وأقطار».

ويعرف ابن خلكان بابن عبد ربه و يترجم له بذكر اسمه ونسبه ثم يصفه بقوله «كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس وصنف كتابه العقد وهو من الكتب الممتعة حول كل شيء وله ديوان شعر جيد....» [3]

ومن مطالعتنا لأثر الكتاب ومكانته نجد أن عناية القدماء واهتمامهم به لم تتوقف عند وصفه بأوصاف الإعجاب والثناء والتقدير لقيمته العلمية والأدبية والتاريخية وإنما تجاوز ذلك إلى الإقبال على الكتاب باختصار تسهيلا للدراسة والتعلم ولكي تكون الفائدة أعمق وأكمل فقد أشار حاجي خليفة إلى عدد ممن اختصروا كتاب العقد الفريد وعنوا به ومنهم جماعة من العلماء اهتموا بالآثار الأدبية لابن عبد ربه ومنهم «أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن الوادي، آشي القيسي المتوفى 570هـ وجمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الخزرجى صاحب لسان العرب توفي سنة 711هـ>> [4]، كما أورد خليفة نفسه اسم كتاب "اللباب في معرفة العلم والآداب" لابن عبد ربه ولكنه لم يصل إلينا، وهكذا فإننا لا نكاد نفتح كتابا مشرقيا أو أندلسيا إلا ونجد فيه إطراء وثناء وتقدير

---

[1] حازم عبد الله، مجلة الآداب الرافدين، ص 381.

[2] المرجع نفسه، ص 381.

[3] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2، ص92 .

[4] طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، ص289.

لابن عبد ربه من خلال مؤلفه المشهور، حتى كاد موضع تفاخر الأندلسيين وتباهيهم إزاء المشارقة، << وهل عندكم في رؤساء علم الآداب مثل أبي عمر بن عبد ربه صاحب العقد...>> [1]

أما المحدثون فلم تكن عنايتهم بالعقد الفريد وتقديرهم لأثاره بأقل من تقدير القدماء له فقد أقبل عديد منهم على موارده وأبوابه بالتحليل والدراسة وطول التأمل والنظر حتى كان من جهودهم حشد كبير من الدراسات والبحوث والمقالات مما لا يتسع المجال لعرضه مفصلا ولذلك فسنحاول ذكر أهم هذه الدراسات والبحوث على سبيل المثال لا مفصلا الحصر

كتب الدكتور أحمد أمين عن كتاب العقد في مواضيع عديدة ومتنوعة من تأليفه، واشترك تحقيقه والتقديم له، ونشرت مجلة الرسالة عدة مقالات لعدد من الباحثين في أعداد كثيرة ومختلفة لأن الكتاب كان موضوع اهتمام الطبقة المثقفة خاصة.

من هؤلاء << محمد سعيد العريان الذي كتب مقالين في عددين متواليين (392-393) السنة التاسعة وكتب مقال بتوقيع «أستاذ خليل » في العدد (399) من السنة التاسعة من الرسالة تتبع فيه الأخطاء التي حصلت في طبع الكتاب وتحقيقه وبخاصة فيما يتعلق بتخريج الأبيات الشعرية>> [2] وهذا يوضح قيمة الكتاب من الناحية الأدبية والعلمية واهتمام الأدباء به .

ويظهر اهتمام الفئة المثقفة بما جاء في كتاب العقد من خلال تسابقهم لدراسة مضمونه وكتابة المقالات العديدة لما جاء فيه ومنهم محمود أبورية الذي كتب مقالا عن العقد الفريد

---

[1] حازم عبد الله، مجلة الآداب الرافدين، ص 381، 382 .

[2] المرجع نفسه، ص382.

استعرض فيه بإيجاز أقوال العلماء فيه وطبعاته ثم تناول عمل لجنة التحقيق بالنقد والتصويب.

ومنهم علي أدهم الذي كتب مقالا عن العقد الفريد<< في مجلة الثقافة في عددها (667) السنة الثالثة عشر وقد ركز الباحث في مقاله على التعريف بابن عبد ربه والوقوف على بعض جوانب حياته من خلال ما ورد له من شعر في النقد واستشهد بعد ذلك ببعض أشعاره في الزهد – من الممحصات – وتكلم عن ثقافته وعلومه ومنهجه في العقد ونقد بعض جوانب هذا المنهج>>[1].

[1] حازم عبد الله، مجلة الآداب الرافدين، ص381، 382.

الفصل الثاني

المضامين الأدبية والفنية
في العقد الفريد

أولا:المضامين الأدبية.

1 1- النثر الفني
1 2 -الأمـثـــــال
1 3 -الــرســائــل
1 4 -الــتــوقــيعات

ثانيا : المضامين الفنية.

2-1 الـــــبـــيـــــان

2-2 الــبــلاغـــــة

2-3 التراكيب والألفاظ

1 - المضامين الأدبية:

إن استعراض عناوين الكتاب يجب تقسيمها وفق نمط من الأنماط الثلاثة، وهذا لا يشترط المساواة العددية بينهما، ونجد أن المضامين الأدبية قد حازت على احد عشر عنوانا من خمسة وعشرين وهذا يدل دلالة واضحة على أدبية ابن عبد ربه، وتبصره بأمور الشعر والخطب والأمثال والمواعظ والزهد، ولكن ذلك العلم لا يلغي معرفته العلمية بعلوم أخرى لكن الميول الأدبية أقوى حضورا وظهورا وأحكم علما من غيرها من العلوم والصناعات، وإذا أخذت بالكثير منها وتأدبت به، ومن ذلك الكثير.

1-1النثر الفني

أ -**الخطابة:** إذا كان ابن عبد ربه قد استفاد في تقسيمه للكتب من ابن قتيبة، واتبع طريقته في تناولها فبدأ بخطبة الرسول صلى الله عليه وسلم، في حجة الوداع ثم خطب الخلفاء الراشدين، ثم الأمويين، ثم العباسيين، إلا أنه خالفه في جعلها قائمة في كتاب يخصها وسمّاه "كتاب الواسطة في الخطب"[1] في حين كانت عن ابن قتيبة داخلة ضمن مباحث كتاب "العلم والبيان"[2].

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ، ص57

[2] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج5، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1996، ص231

وفي كتاب (الواسطة في الخطب) قال ابن عبد ربه: «ونحن القائلون بعون الله وتوفيقه في الخطب التي يتخير لها الكلام، وتفاخرت بها العرب في مشاهدهم، ونطقت بها الأئمة على منابرهم، وشهرت بها في المواسم، وقامت بها على رؤوس خلفائهم، وتباهت بها في أعيادهم ومساجدهم، ووصلتها بصلواتهم، وخوطب بها العوام، واستجزلت لها الألفاظ وتحيزت لها المعاني»[1].

ليست هذه الأسطر حديثا عن الخطب بقدر ما هي حديث على أنواعها، فهناك الخطب الدينية وهي التي تكون في الجمعة والعيدين، وتعقد في المساجد، لأنها خير مكان يجتمع فيه المسلمون ويتعلمون العلوم الدينية والأدبية والتاريخية وغيرها.

ولعل من أبرز الخطب عنده.

ب -**الخطابة السياسية:** وهي الخطب التي يتقلدها الخليفة، ويخاطب بها الرعية، ويحقق مطالبهم بما يراه موافقا لسياسته، واجتنابا لتلك الأحزاب السياسية التي يمكن أن تقلب الأمور رأسا على عقب، يبدو أن ابن عبد ربه يكن تلك المخاوف التي يمكن أن تقع في الأندلس بسبب كثرة العناصر المجتمعية، ويدرك أنها سبب مخيف، كما قد حصل في العهد الأموي، بين الخوارج والشيعة والأمويين.

لذلك يجب أن تكون الخطب السياسية مقننة، بما يخدم الشعب فردًا فردًا، وجماعةً جماعةً وقد يدخل في هذا النوع الخطب التي تقدمها الوفود بين يدي الخليفة مظهرين له الولاء والاعتزاز، وكان لابد للوافد أن ينطق بما يتوافق والمكان الذي يقف فيه، أي أن يتضلع في كلامه بأدب وحكمة ومنطق حسن، وقد فصل ابن عبد ربه القول في ذلك في كتابه «الجمانة في الوفود»[2] وأحسست في قوله غضبا واستياء مما يسمعه من قومه عند الخلفاء

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4،ص145.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص5 .

إذا كان له حضور في بلاط الخلفاء والأمراء، وهذا تفسير ألجأ إليه لتعليل شدة اللهجة في كتاب الوفود.

ج- الخطابة المحفلية: وهي نوع من الخطب التي تقال في المواسم والمشاهد والحفلات التي تقام بمناسبة ما، ويتخير لها الكلام المعبر عن الفرح والسرور، ويستشهد فيها بالشعر والمثل وأكثر هذه المشاهد والمواسم تكون في الانتصارات التي خاضتها الجيوش الإسلامية، وذلك على اعتبار أنها دولة فاتحة، تطمح إلى توسيع أرجائها، وتطهير البقاع من أدران الكفر والعصيان.

1 -**خطب الزواج:** فقد كان الحسن البصيري يقول فيها<< بعد الحمد لله والثناء عليه،أمابعد: فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة، والأنساب المتفرقة، وجعل ذلك في سنة من دينه ومنهاج (واضح) من أمره، وقد خطب إليكم فلان، وعليه من الله نعمة، وهو يبذل من الصداق كذا فاستخيروا الله وردوا خيرا يرحمكم الله[1] ولقد جعل الله عز وجل النكاح سبيل يجمع الأرحام والأنساب.

2 - **خطب الأعراب:** خطب أعرابي فقال: أما بعد، فإن الدنيا دار ممرّ، والآخرة دار مفرّ، فخذوا من ممرّكم لمقركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها حييتم، ولغيرها خلقتم، اليوم عمل بلا حساب، وغدا حساب بلا عمل، إن الرجل إذا هلك قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدّم؟ فقدّموا بعضا يكون لكم قرض ولا تتركوا كُلا فيكون عليكم كلاًّ، أقول قولي هذا والمحمود الله والمصلى عليه محمد والمدعو له الخليفة، ثم أمامكم جعفر، قوموا إلى صلاتكم[2] حيث أن الأعرابي وضح الفروقات بين دار الدنيا ودار الآخرة والأفضل والأبقى

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد ، ج4، ص234 .

[2] المصدر نفسه ، ج4، ص235.

يبين أن الدنيا ما هي إلا متاع الغرور، وهي الأولى التي يعمل فيها الإنسان ويتمسك بتعاليم دينه ويجمع الرصيد ليوم لا مفر منه وهو يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾[1] .

1-2 الأمثال: ومن الفنون القولية التي تميز بها الأدب العربي في مجال النثر الفني الذي أفرد به ابن عبد ربه كتابا خاصا به الأمثال وهو «الجوهرة في الأمثال» [2] وهو عنوان لم يذكره ابن قتيبة في عناوين كتبه، ويرى ابن عبد ربه في الأمثال أنها الشيء اليسير الذي ينقل المتلقين درجات وافرة في العلم والمعرفة، وذلك لأنه قول موجز يوقفهم على حكم نادرة وفطن بارعة ما كان لهم أن يعرفوا مرادها ومعناها من غير المثل، إضافة إلى أن لفظها جزل رصين ومعانيها أدبًا وخلقا، ويمكن أن تنقل في أوساط المجتمع بيسر وسهولة، وهي طريقة أقرب إلى الأنفس بخفة وزنها، وما وراءها من القصص والخبر، ثم بصياغتها اللفظية، ومعانيها البديعة، وقال ابن عبد ربه: «ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الأمثال التي هي وشي الكلام وجوهر اللفظ، وحلى المعاني، والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها كل زمان وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها ولا عمَّ عمومها»[3]

فالأمثال ليست توقيفه، بل تصدر عمن أوتي الحكمة، وحلل الفطنة، وصاغ الفائدة، ونقلها إلى الخاطرة، فوعتها القلوب، وتناقلتها الألسن، ولا يشترط فيها العروبة بل قد تكون يونانية أو فارسية.

---

[1] سورة الزلزلة،الآية 1-8.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص3.

[3] المصدر نفسه، ج3، ص3.

يقول ابن عبد ربه: (فأول ما نبدأ به: أمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أمثال العلماء، ثم أمثال أكثم بن صيفي وبزر جمهر الفارسي....) [1]

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ضرب الله مثلا صراطًا، مستقيما، وعلى جنبي الصراط أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخية، وعلى رأس الصراط داع يقول: ادخلوا الصراط ولا تعوجوا، فالصراط الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله والداعي القران)[2].

لذلك نجد أن الأمثال كلام يعكس مشاعر الشعوب على اختلاف طبقاتها وانتماءاتها وتجسد أفكارها وتصوراتها وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها ومعظم مظاهر حياتها في صورة حية وفي دلالة إنسانية شاملة، وتتسم الأمثال بسرعة انتشارها وتداولها من جيل إلى جيل فنجد ابن الأثير يشير إلى أهمية الأمثال فقال: (الحاجة إل يها شديدة، وذلك أن العرب لم تصغ الأمثال إلا لأسباب أوجدتها وحوادث اقتضتها، فصار المثل المضروب لأمر من الأمور عندهم كالعلامة التي يعرف بها الشيء) [3] وقد ضرب الله عز وجل في كتابه حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51)﴾[4]

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص66.

[2] المصدر نفسه ، ج3، ص4.

[3] ابن أثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، دار النهضة، مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1959، ص54 .

[4] سورة المؤمنين، الآية: 51.

وقال تبارك وتعالى:
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (76) [1] .

تضمن كتاب الجوهرة في أمثال إضافة إلى أمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثال روتها العلماء، أمثال في الرياء، أمثال في القربى، أمثال في مكارم الأخلاق وغيرها.

1-3- **الرسائل:** لقد قلل ابن عبد ربه من شأن الرسائل فلم يدرج عنوانا يتناولها ويبين خصائصها، مع أنها وسيلة أدبية شاركت في تيسير كثير من الشؤون الحياتية للبلاد وجعل الحديث عن الكتاب وطريقتهم، والحديث يولجنا إلى نوعين من الرسائل التي كانت موجودة في الأدب الأندلسي وهي:

أ- **الرسائل الديوانية:** [2] التي تصدر عن ديوان الخليفة أو الملك يوجهها إلى ولاته وعماله وقادة جيوشه، بل والى أعدائه أحيانا منذرا متوعدا .

ب- **الرسائل الإخوانية:** التي تدور بين الإخوان والأصدقاء والخلصاء، ومنها أيضا الرسائل التي يرسلها الكاتب إلى من يريد أن يخطب مودته أو يلتمس منه أمرا من الأمور.

1-4- **التوقيعات:** والتوقيعات التي كان يكتبها كثير من الناس دليلا على المراسلة فيما بينهم ولم يزهد ابن عبد ربه في كتاب "المجنبة الثانية" في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة" إلا في الإسهاب والإكثار وكلما كان القول كافيا للمعنى الذي يريده المرسل كان إيجازا، وليس الإيجاز إلا صدى لذلك الوقت الموجز، ولا مجال فيه لسماع التعابير وتفصيل القول في الرسائل التي يبعثها الرئيس إلى مرؤوسه، والكتابة ليست حصرا على الكتاب بل هي حق للجميع.

---

[1] سورة النحل، الآية: 76.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص237

ومن ذلك قول عبد الله بن عباس ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتفعت بكلام كتبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتبه إلي: أما بعد:

«فإن المرء يسره إدراك مالم يكن ليفوته، ويسوؤه، فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن اسفك على ما فاتك منها، وما نلت من أمر دنياك فلا تكن به فرحا، وما فاتك منها تأس عليه جزعا، وليكن همك ما بعد الموت»[1].

علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يكن من الكتاب، ولكنه يكتب إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وليس الميدان ميدان سياسة بقدر ما هو وعظ وإرشاد، وحث على الاستزادة من الآخرة وأجرها، والأسف على ما يضيع من أمرها، وهي رسالة إخوانية تظهر فيها ملامح ودوافع الإخاء والتآخي بين الطرفين، والأسلوب فيها لا يقل أهمية عن سابقتها إذ أنها تعزف على أوتار القلوب، وتفتح آفاق الفكر للتبصر في أمر قد انشغل عنه بغيره، وقال ابن الجوزي في كتابه صفة الصفوة: «جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: إن ربي أرسلني إليك يخبرك أنك زودت أصحابك بالطعام ونسيت أن تزود حديرا وهو في آخر الركب يقول لا اله إلا الله والله اكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ويقول نعم الزاد هو يا رب، قال فكلامه ذلك له نور يوم القيامة ما بين السماء والأرض فابعث إليه بزاد» [2] وكذا رسائل المراثي والتعازي.

1-5- الشعر: وضع ابن عبد ربه كتابين يتناولان الشعر في حين تناوله ابن قتيبة في بضع صفحات من "كتاب العلم والبيان" [3] وللافت للأمر أن ابن عبد ربه يتعامل تعاملا مباشرا مع القلوب وأريحيتها، وغضبها وعنفوانها، فيذكر من الكتب والعناوين من غضبها،

---

[1] عبد الرحمن، ابن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: محمود درواس قلعة حي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1399هـ، 1979م، ج1، ص313

[2] المرجع نفسه، ص313

[3] ينظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج5، ص182، 185.

أو يروح عنها أو ينشط من حركتها بما يسعدها، وفي هذه الأثناء حين تتضارب الأفكار وتختلط الأهواء وتقلق الأرواح والقلوب، يرجعها إلى تلك الألحان التي لا غنى للعربي عنها ، إذ أنها المتنفس القلبي لوشائج الهموم والأحزان، والمحرك التناغمي لمكامن الأشواق والوجدان ففي كتاب "الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعهم" يقول: (قيل لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم في مجالسهم؟ قال: كنا نتناشد الشعر ونتحدث بأخبار جاهليتها) [1] ومن شعراء الجاهلية الذين كان لهم صدى في هذا العصر عنترة بن شداد الذي نظم الكثير من القصائد .

ومنها قال عنتره في قصيدته التي أولها :

هل غادر الشعراء من متردم *** أم هل عرفت الدار بعد توهم

يادارعبلة بالجواء تكلمي *** وعمي صباحا دار عبلة و إسلمي[2]

إن أيام العرب هي أيام شاقة، تمتطي فيها صهوات الخيول لترد ظلما أو تثار لدم، وما من يوم من أيامهم إلا وسجله الشعر ووصفه ثم تناقله الناس فيما بينهم فأراد الأندلسي أن يؤدب القوم يعلم فيه من الأخلاق والمآثر والشعر الفيض الكثير، حيث ظهر الشعر الحماسي الذي رافق تاريخ العرب بالأندلس مكتوبا بدمائهم وأرواحهم لذلك قال ابن عبد ربه في كتابه الزمردة في المواعظ وألزم عن فضل الشعر: (إذا كان الشعر ديوان خاصة العرب، والمنظوم من كلامها، والمقيد لأيامها، والشاهد على حكامها) [3]

والشعر لا يقدم في بحر ووزن وقافية فحسب، بل اللفظ والمعنى والفطنة والحكمة والخبر والفائدة، والنصيحة والموعظة والزهد، والتعبير والمثل، والبلاغة والبيان.

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص118

[2] المصدر نفسه ،ج6، ص20.

[3] المصدر نفسه ،ج6، ص118

وابن عبد ربه شاعر بارع يدرك أهمية الشعر ومكانة الشعراء، لذلك يرى من الأهمية أن يعرف كل فرد كيف يكتب الشعر، وما هي بحوره وعلله، وما يحسن منه وما يقبح فكتابه "الجوهرة الثانية بأعاريض الشعر وعلل القوافي"[1] وهو عنوان يفصل القول في علم العروض تفصيلا منهجيا تعليميا، ويدل دلالة واضحة على أهمية الشعر وتناشده و محاولة قوله و التأليف فيه من جهة، ومحاولة التجديد في الأغراض بما يتناسب والحياة الأدبية الجديدة.

يقول: (واختصرت المثال في الجزء الثاني في ثلاث وستين قطعة، على ثلاثة وستين ضربا من ضروب العروض، وجعلت المقطعات رقيقة غزلة، ليسهل حفظها على السنة الرواة وضمنت في آخر كل قطعة منها بيتا قديما متصلا بها، ودخلا في معناها من الأبيات التي استشهد بها الخليل في عروضه، لتقوم به الحجة لمن روى هذه المقطعات واحتج بها) [2].

في قوله إثبات لقدرته الأدبية على قول الشعر والتأليف فيه، فيستطيع أن يصوغ منه السهل الرقيق والصعب الثقيل ومع أن ابن عبد ربه شاعر فحل لكنه لم يذكر شيئا من شعره في أي مقدمة من مقدمات العقد، و جميع الأبيات المذكورة أبيات لشعراء جاهليين وإسلاميين، وقد لا يذكر أو ينسب البيت إلى قائله بل يكتفي بقوله (قال الشاعر) أو (منه قولهم) من ذلك الشاهد الذي ذكره في كتاب «اللؤلؤة الثانية في الفكاهات والملح» [3] وصدره بقوله:

قال الشاعر: [4]

إِنَّمَا لِلنَّاس مِنَّ * حُسْن خلق ومزاحا**

ولنا ما كان فينا * من فساد وصلاح**

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد ، ج5، ص270.

[2] المصدر نفسه ، ج5، ص270.

[3] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج8، ص90.

[4] المصدر نفسه ، ج8، ص93.

يوضح لبن عبد ربه أن بعض الناس يتميزون بحسن الخلق كما يتصف بعضهم بالفساد وبعضهم الآخر بالصلاح وهي طبيعة البشر .

جعل ابن عبد ربه شعره مبثوثا في متون الكتب وبصدره بقوله: "ومنه قولنا" "ومثله قولنا" هذا رأي، ورأي آخر انه كثيرا ما يؤلف القصائد في الغزل واللهو والمجون لكنه تاب وأقلع عن التأليف فيها ومحصها بأشعار في الزهد والوعظ، وكان ذلك في أثناء انقطاعه لكتابه "العقد الفريد" فكتب المقدمات قبل نظم أبياته في الإغراض الأخرى، إذ أن الزهد والوعظ ليسا الغرضين الوحيدين فهناك المدح والوصف والرثاء.

في كتاب "الفريدة في الحروب" ومدار أمرها يقول: [1]

ومُغَبَّرٍ السماءِ إذا تَحلَّى ** يُغَادِرُ أرضَه آالأُرْجُوَانِ**

كَأنَ نـهارَهُ ظَلْمَاءُ ليلٍ ** كَواكِبُهُ منَ السُّمْرِ اللِّدَانِ**

يسوق الشواهد الشعرية دون أي تحليل أو تفسير أو تعليل، ونادرًا جدا ما يذكر الغرض الخاص بها، وينسبها لقائليها، ومن ذلك قوله: وقف حكيم بباب بعض الملوك فحجب فتلطف برقعة وأوصلها إليه وكتب فيها هذا البيت: [2] .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُرْجَى لَهُ الْغِنَى * وَأَنَّ الْغِنَى يُخْشَى عَلَيْه مِنَ الْفَقْرِ**

فالبيت ذكر في كتاب المواعظ والزهد، وأصل البيت العضة في قالب العتاب بين الأصدقاء لكن ابن عبد ربه لم يلتفت إلا للموعظة والزهد،، وإن لم يشر إلى الغرض من هذا البيت ولكنه في سياق الخبر ذكر اتعاظ الملك بالبيت وهو ما يريده من الشاهد:

وفي كتاب "الجوهرة في الأمثال" يقول: قال الشاعر: [3]

ما أنت إلا مثل سائر * يعرفه الجاهل والخابر**

وفي كتاب "الزمردة الثانية في فضائل الشعر" يقول: قال أحد المحدثين: [4]

بُرْزَةٌ تُذْكَرُ فِي الْحُسْـ * ـن مِنَ الشّعْر الْمُعَلَّقْ**

---

[1] ابن عبد ربه، ديوان ابن عبد ربة الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره، ص160، 161.

[2] المصدر نفسه ، ج3، ص84.

[3] ابن عبد ربه، ديوان ابن عبد ربة الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره ، ج3، ص3.

[4] المصدر نفسه ، ج3، ص118.

كُلُ حَرْفِ نَادِرِ مِـ * نْهَالَهُ وَجْهٌ مُعَشَّقْ**

والوصف كامن في ثنايا الأبيات، إذ تصف مسيرة المثل ومعرفيته العالمية من الجاهل والخابر، كذلك المعلقات الشعرية وما لها من جمال وروعة وحسن، جعلت الشاعر المحدث يصف قصيدته وما بها من حسن بما في المعلقات من حسن على سبيل المشابهة والتمثيل لها، وإذا كان ابن عبد ربه لم ينسب الكثير من الشعر إلى قائله – وهناك مقاربة شديدة بين شخصيته ابن عبد ربه التائبة الراغبة وحاجة المجتمع المعيشية من جهة، وبين أغراض أدبية معينة من جهة ثانية وإذا وقفنا على الأبيات الشعرية في كتاب "العقد الفريد" نجد "المواعظ والزهدّ تستأثر بعدة مقاطع على خلاف جميع الكتب الأدبية، فهي بذلك مرآة تعكس صورة لنفسية ابن عبد ربه الأدبية والدينية معًا، فيقول في كتاب "اللؤلؤة في السلطان" قال الشاعر: [1]

فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَنَحْنُ رَعِيَّة * وَكُلٌّ يُلاَقِي فِي رَبِّهِ فَيُحَاسِبُهُ**

فالموعظة ذات أهمية ابتداء من خليفتها أو سلطانها، وأنه متى عجز اللسان، عن البيان عن مطالبه السياسية، فالصيرورة الحتمية إلى الله عنده تكون المحاسبة.

فإذا كان ابن عبد ربه لا يحلل الأبيات إلا أنه يذكرها بعد ذكر الشواهد النقدية وكأنها نثر في قالب نظم لا غموض فيه، ثم إنه نهج متبع في عدم تحليل الأبيات، أو تفسير معنى عام أو خاص، لأنه نهجه يعترف بالمباشرة المعنوية الواضحة جدا للأبيات.

ويقول في كتاب "الزمردة في المواعظ والزهد" ومنه قولهم: [2]

أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الإِنْسَانِ مَا مُنِعَا

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص20

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد ، ج3، ص136

2 - المضامين الفنّية

2 1 -البيان

تحت هذا العنوان يضيق الكلام حول البيان الأدبي تتحدد فيه معالم بلاغية ونقدية فالإبانة على هذا النحو تختلف عن الإبانة الإفهامية التي لا تؤدي دورًا سوى الإفهام عما في نفسها باللسان أو الكتابة، لتتجاوز هذه المعايير إلى استخدام طرق أكثر مهارة وأساليب تنطق فطنة وبراعة، وتنم عن حذق وخوق، وتكشف عن أفانين بديعة تتلاعب بالكلمات وتبلغ بها حد البلاغة والفصاحة في معرض حديثه، وتسلمه يد الكتابة الأدبية لكنه أفصح عن ذلك بمشابهته ومقايسته لكثير من الأمور البيانية واستقص الشواهد المناسبة التي تعضد كثيرا من الأقوال والآراء، لتقوم الحجة بها، ففي كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك "[1] ذكر البيان وقال فيه أن (كل شيء كشف لك قناع المعنى الخفي حتى يتأدى إلى الفهم ويتقبله العقل، فذلك البيان الذي ذكره الله في كتابه، ومنّ به على عباده)[2] فقال تعالى: «الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ »[3] ذكر أهمية البيان وسئل النبي صلى الله عليه وسلم «إن من البيان لسحرا»[4]ووضحته السنة النبوية الشريفة في هذا الحديث وقالت العرب: << أنفذُ من الرميةِ كلمة فصيحة >> [5]وكذا قالت فيه العرب ما قالت لأنه يخلق جمالا وسحرا في الأدب عامة.

وقال الراجز: [6]

لقد خشيت أن تكون ساحرا ** روايةً مرّا ومرًّا شاعرًا**

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص3

(2) المصدر نفسه ،ج 2 ، ص4

(3) سورة الرحمان ، الآية :(1-4)

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص4

(5) المصدر نفسه ،ج 2 ، ص4

(6) المصدر نفسه ،ج 2 ، ص4

وأصل البيت في الغزل، لكن الحاجة إلى عجز البيت جعلته ينساق في باب الموعظة إن هذه الأبيات تصبح حكما تتداولها الألسن وتتعظ بها في حياتها، لأصبحت حكمًا زهدية وعظية.

وفي كتاب "الجمانة في الوفود" يقول: ولما توفي قيس بن عاصم قال فيه الشاعر: [1]

عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ قَيْسَ بْنُ عَاصِمِ * وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا**

تَحِيَّة مَنْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ نعْمَة * إِذَا زَارَ عَن شَحْطٍ بِلاَدِكَ سَلَّمَا**

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلْكُهُ وَاحِدٍ * وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْم تَهَدَّمَا**

الغرض من الأبيات هو الرثاء الذي يذكر بالموت وما بعده في الآخرة من الرحمة والمغفرة، والهلاك الدنيوي الذي هو نهاية كل إنسان والأبيات تعكس انكسار القلوب وحزنها على فقيدها، لان القلوب أصدق ما تكون في هذه المواقف، لذلك وضع ابن عبد ربه كتابه "الدرة في النوادي والتعازي والمراثي" [2] قال الأصمعي: << قلت لأعراب: ما بال المراثي أشرف أشعاركم؟ قال: لأنا نقولها وقلوبنا محترقة فالشاهد لم يذكر بعيدا عن إيمانية مؤكدة بشرف الأشعار المؤلفة في باب الرثاء>> [3].

وقال سهل ابن هارون، العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم[4].

وهنا يظهر التكامل بين العقل والروح وحاجة كل منهما للآخر. وقالوا: << البيان بصر والعي عمَى، كما أن العلم بصر، والعيُّ عمى، كما أن العلم بصر والجهل عمى، والبيان من نتاج العلم، والعي من نتاج الجهل>> [5] في تفسير هذه المقولة العلم يولد النور والضياء والعي يولد الجهل والظلام.

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص4

[2] المصدر نفسه، ص4

[3] المصدر نفسه ، ج1، ص274،275

[4] المصدر نفسه، ج3، ص4

[5] المصدر نفسه، ج3، ص4

وقالوا:<< ليس لمنقوص البيان بهاء، ولو حَكَّ بيافو خه عنان السماء>> [1] أما هذه المقولة تبرز دور البيان في حسن وجمال الكلام.

وقال صاحب المنطق: << حد الإنسان، الحيُّ المناطق المبين وقال: الروح عماد البدن والعلم عماد الروح، والبيان عماد العلم>> [2] أي أن لا حياة للبدن بلا روح وكذلك هو العلم فلا حياة له دون بيان ومن هنا ندرك العلاقة بينهما.

2 2 - البلاغة

ليس للأديب غنى عن البلاغة، إلا أنها لم تشتمل على كتاب خاص بها من كتب العقد الفريد، لكنها ضلت حاضرة في ثنايا سطورها التأليفية، إذ ذكرت في ستة مواضيع متفرقة: الخطب والتوقيعات والفصول، والمواعظ والزهد، والنوادب والتعازي والمراثي، وفي كلام الأعراب، وفي أخبار زياد والطالبيين والبراكمة.

وجاء تعريف البلاغة لابن عبد ربه في كتابه: "العسجدة في كلام الأعراب" قال: «تكلم ربيعة الرأي يوما بكلام في العلم فأكثر، فكان العجب داخله، فالتفت إلى أعرابي إلى جنبه، فقال: ما تعدون البلاغة يا أعرابي، قال: قلة الكلام وإيجاز الصواب، قال: فما تعدون العيّ؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم، فكأنما ألقمه حجرا»[3]

إن ابن عبد ربه ينبه على التكلم في قالب مختصر واف، بالكثير من العلم والمعرفة بأقل لفظ يدل عليه، فكأن تعريف البلاغة هو الإيجاز ولكن الاهتمام بالإيجاز واضح على الأقل في الكتاب، إذ أنه ساق الشواهد التي تبين شرف الإيجاز ومحموده وميزته.

"قيل لجعفر بن يحيى ابن خالد ، ما البلاغة ؟ قال:التقرب من البعيد ، و الدلالة بالقليل على الكثير" [4] يمكن بالبلاغة أن نقرب البعيد وندل بالقليل من الكلام عن الكثير.

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد ج3، ص4

[2] المصدر نفسه، ج3، ص4

[3] المصدر نفسه، ج3، ص420

[4] المصدر نفسه، ج4، ص272

فيكون للكلمة معنى أقرب وأنسب وقيل لأعرابي :"من أبلغ الناس ؟ قال: أحسنهم لفظا و أسرعهم بديهة "[1] وصفة البلاغة تميز أصحابها باللفظ والبديهة.

2 3 -التراكيب والألفاظ

إن كتاب العقد الفريد مترابط الأفكار والمفاهيم بين العناوين، وتوالدت الفوائد من توالد العناوين، وأفكارها وصمم هذا العقد خصيصا ليجمعها في سياق واحد ويحدد الترابط والانسجام بينهما، وكذا التكرار اللفظي وذلك النوع نقصد به التكرار اللفظي للعنوان، أما النوع الآخر فهو تكرار المضمون الكتاب وتلك فائدة جليلة إيجاز النتيجة، أو الخلاصة القولية المرادة من العنوان السابق، فالقارئ حين يغفل عن قراءة الكتاب السابق، يجحد من مقدمته مساعدة في تقديم العنوان وخلاصته وإذا أراد الإسهاب وتفصيل يعود إليه ففي كتاب الفريدة في الحروب ومدار أمرها يقول: «قد مضى قولنا في السلطان وتعظيمه وما على الرعية من لزوم طاعته و إدامة نصيحته، و ما على السلطان من العدل في رعيته والرفق بأهل مملكته »[2] فالكتاب السابق في تأليفه على كتاب الحروب هو كتاب السلطان، وهذا ضرب من التكرار المضموني الذي له فائدته ومغزاه.

إن بناء كتاب العقد الفريد من مقدمة وعرض وخاتمة قالبا خاصا ينسجم فيه النص منذ البداية إلى النهاية، هذا الانسجام يقيم بين أقسام البناء تآلفا نصيا ومعنويا، إذ ينتقل من المقدمة إلى العرض ومن العرض إلى الخاتمة انتقالا ينتقل القارئ فيه مع الانتقال النصي دون أن يشعر بهذا الانتقال، وتلك طريقة تلخيصية مبدعة من الكاتب.

ذكر في كتابه سبب اختياره لكلام الأعراب على وجه الاختصاص، وكان ذكره يحمل اسمية تفيد الدوام والثبوت والاستمرار.

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد ج4، ص 55

[2] المصدر نفسه، ج6، ص313

وهذه الديمومة والثبوتية طابع إلتزمه كلام الأعراب، وهي صفة دائمة بها، وليست على وجه الندرة أو الكثرة على وجه الديمومة والاستمرار، وذلك يعطي الموصوف أهمية وتقوية مكانية، ويعزز كيانه وجوهره، فتتميز مادته القولية (كلامه) برونقها وحسنها عن باقي الأقوال، وهذا يظهر جليل في كتابه "العسجدة في كلام الأعراب" حيث قال: «....إذا كان أشرف الكلام حسبا، وأكثره رونقا وأحسنه ديباجا، وأقله كلفة، وأوضحه طريقة، إذا كان مدار الكلام كله عليه، منتسبه إليه»[1].

إضافة إلى أن ابن عبد ربه لا يجعل النفوس تتعطش إلى معرفة سبب تلك الأحكام والأخبار التي من أجلها اكتسب هؤلاء هذه المزية، فيجعل في كتابه ونصه الأصلي تفصيلا وشرخا من خلال عرض الشواهد والأخبار والأحداث والقصص التي تروي الضمان، وتسكن الرغبة، وتلبي الحاجة، وليست المقدمات بهذا الإيجاز إلا مفتاح الباب وسر الوصول إلى متن الكتاب وقراءته والوقوف على فائدته.

إن ابن عبد ربه في طريقته التخليصية يميل إلى الطريقة الأولى التي يتدرج فيها بتلطف ومن فقرة إلى أخرى، وكلها ذوات صلة واحدة ومتشابهة وقريبة من بعضها.

وفي كتاب "الفريدة الثانية في الطعام والشراب" يقول: «ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الطعام والشراب الذين بهما تسموا الحواس وهما قوام الأبدان، وعليهما بقاء الأرواح قال المسيح عليه السلام في الماء: هذا أبي، وفي الخبز: هذه أمي، يريد أنهما يغذيان الأبدان كما يغذيهما الابوان، وهذا الكتاب جزءان: جزء في الطعام وجزء في الشراب فالذي في الطعام منهما متقص جميع ما يتم ويتصرف به أغذية الطعام »[2] .

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص420

[2] المصدر نفسه، ج6، ص313،

يظهر الانسجام في هذا الكلام إلا على الوحدة الأدبية لنص عموما، إذ يتحد هذاالقالب مع بعضه اتحادا منظما متينا لا يبعد فيه طرف عن طرف، ولا يتعارض صوت العرض مع صوت المقدمة أو صوت الخاتمة مع صوت العرض.

ومن ذلك أيضا قوله في كتاب اليتيمة الثانية في أخبار زياد و الحجاج و الطالبيين و البرامكة ": « إذا كان هؤلاء الذين جردنا لهم كتابنا هذا ، قطب الملك الذي عليه مدار السياسة و معادن التعبير، وينابيع البلاغة ، جوامع البيان » [1].

في حين كان كتاب اللؤلؤة في سلطان"[2] أكثر الشواهد وأغزر أخبارا عن سابقيه إذ ذكر قول لأحد الحكماء، وحديث قدسيا، وآية قرآنية وحديثا نبويا، وأشعارا وأقوالا لصاحبة وأخبارا لقادة فالكتاب شامل متنوع يعطيك الفائدة من مقدمته، ويزيدك من قبيل الأقوال والأخبار في الكتاب.

استعمل ابن عبد ربه كلمة (فرش)، وهو لفظ فريد ومميز لم يحتذي في التسمية به حذوى أحدٍ ممن سبقه فكان أول من أتى به في مقدماته وهو مأخوذ من فَرَشَ الشيء يَفْرِشُهُ ويفرشه فرشا. بسطه ويقال: فرَّشَ فلان داره إذا بلَّطها، وفي القران الكريم «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً»[3] أي: وطاءً لم يجعلها حزنة غليظة لا يمكن الاستقرار عليها، أراد ابن عبد ربه أن يقدم كتبه بمقدمات تتناول الكتب تناولا قويّا ثابتا وتبسط القول فيه بسطا سلسا ممهدا.

(اللفظ جسم، وروحه المعنى،وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم،يضعف بضعفه ويقوى بقوته) [4]

ولقد تحدث ابن عبد ربه عن اللفظ والمعنى في بناء الجملة نظمية، وينظر لها على أنها شيء واحد في كتابه الوفود يقول:(ومشاهد حفل يتخير لها الكلام،وتستهذب الألفاظ وتستجزل المعاني)[5] وفي كتاب الجوهرة في الأمثال:(التي هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي التي المعاني)[6]، فألفاظ يجب أن تكون مهذبة،و ذات قيمة جوهرية تضيء النص في حدود المعاني

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد ، ج5، ص313.

[2] المصدر نفسه ، ج1، ص20.

[3] سورة البقرة ، الآية 22 .

[4] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، تحقيق: صلاح الدين الهواري وأستاذة هدى، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1996، ص 124

[5] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص5

[6] المصدر نفسه، ج3، ص66

تحملها،إن اختيار الألفاظ التي تناسب الموقف ثم بثها و طرحها بطريقة خاصة وبدقة و حزم و مراعات عمق المعنى و حدوده، كي تستطيع التعبير عنه بطريقة مؤثرة.

2 3 1 -الخصائص الأسلوبية والبنائية

أ -الخصائص الأسلوبية

المتأمل لكتاب الفريد لابن عبد ربه يلاحظ خصائص أسلوبه والذي يتمثل في ازدواج العبارة والمقابلة في المعاني، وروعة المعنى وجمال وسمو الفكرة وتمام الأصول والقواعد ويلاحظ كذلك وضوح الأسلوب وقلة الغريب من الألفاظ فقد اختار ابن عبد ربه ألفاظه اختيارا وتفنن في صياغة عباراته فيها، ويلاحظ كذلك قلة السجع أو استعماله بأقدار مناسبة تخدم المعنى والمبنى ولا تجافي الطبع وتنبو عن الذوق وبهذا يكون كتاب العقد الفريد وثيقة حفظت نثر ابن عبد ربه ونقلت لنا نماذج من كتابه في وقت لا نملك معه أثرا شعريا أو نثريا مكتوبا أو مخطوطا له.

يلاحظ أسلوب ابن عبد ربه الذي يبدأ أرجوزته فيه بالحمد والثناء قبل الدخول في الموضوع أسوة بالأسلوب النثري،ويبلغ مجموع ما أورده من الشعر لنفسه في هذا المجلد قريبا من خمسمائة بيت وفي المجلد الخامس نقرأ أشعارا عديدة في أغراض مختلفة منها:

اختلاف الشعراء في المعنى الواحد، رقة التشبيب النحول والبين.

قولهم في الرياض ومن ذلك قوله يصف روضة:

وما رَوضة بالحَزْنِ حاكَ لها النَّدى * بُروداً مِنَ المَوشِيِّ حُمرَ الشقاقِ**

إذا ضاحَكْتها الشمسُ تبكي بأعينٍ * مكلَّلة الأجفانِ حُمرِ الحمالقِ**

حكَتْ أَرضُها لونَ السَّماءِ وزانَها * نُجومٌ كأمثالِ النُّجومِ الخوافِقِ[1]**

وبعد أن يورد ما يقرب من تسعين بيتا في هذه الأغراض يذكر أرجوزته العروض التي تعالج علم العروض وما يتعلق به من الأسباب والأوتاد والفواصل والزحاف والعلل والحزم وعلل الأعاريض والضروب والتعاقب والتراقب والزيادات على الأجزاء وصفة الدوائر وصورها

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص430، 438

وبحور الشعر، وقد زين هذا كله بنظم يعبر عنه ويدل على سعة اطلاعه وموهبته الشعرية التي أشرت إليها.

ب – الخصائص البنائية

إن من يستعمل الكلمة يشبه ذلك السائغ، بل قد سمي باسمه كثيرا، وسميت بنية الكلمة صيغة، يحتاج أن يعرف وزنها وسواء في هذا أن يريدها لبيت من الشعر أو لعبارة من النثر إذ ليست الكلمة سوى مقطع من الأصوات أو أكثر، وعلى حسب نوع هذه المقاطع وعددها وترتيبها، يكون لتلك الكلمة قيمتها التي إذا عرفها مستعملها، وضعها موضعها قال العقاد في كلمة جامعة << حسبنا أن نلاحظ في تركيب المفردات من الحروف أن الوزن هو قوام التفرقة بين أقسام الكلم من اللغة العربية، وأن اللغات السامية التي تشارك هذه اللغة في قواعد الاشتقاق لم تبلغ مبلغها في ضبط المشتقات بالموازين التي تسري على جميع أجزائها وتوفق أحسن التوفيق المستطاع بين مبانيها ومعانيها>> [1] ،يوضح العقاد أن الوزن هو قوام الكلمة وأن اللغة التي اعتمدت الاشتقاق وضبطته الموازين نجدها الأكثر توافقا في المبنى والمعنى وذكر العقاد أمثلة على ذلك فيما يلي << فالفرق بين ينظرُ وناظرُ، ومنظور ونظير ونظائر، ونظارة ومناظرة ومنظار ومنظر ومنتظر، وهو كله قائم على الفرق بين وزن ووزن، أو قياس صوتي وقياس مثله، يتوقف على اختلاف الحركات والنبرات، أي على اختلاف النغمة الموسيقية في الأداء، وحكم الأسماء الجامدة كحكم المشتقات في هذه الخصلة، فإنها تجري جميعا على أوزان معلومة تشملها بأقسامها على تفاوت قوتها) [2]

لقد كان هذا الأديب نابغة في استعمال القوافي ودعم نظمه للقصائد بالأقوال حيث قال ابن عبد ربه «أعلم أن القوافي التي يدخلها حروف المد، وهي حروف اللين، فهي كل قافية حذف

---

[1] عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة "مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية"، طبعة العصرية، بيروت، 1989، 1990، ص14

[2] عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة "مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، ص14

منها حرف ساكن وحركة، فتقوم المدة مقام الحذف، وهو من الطويل "فعولن" المحذوف،....»[1] ففي هذا البيت لابن عبد ربه قال: [2].

أيقتلني دائي وأنتَ طبيبي * قريبٌ ، وهلْ منْ لا يُرى بقريبِ**

ووضح ابن عبد ربه في هذا البيت تغييرات التي أدخلها عليه فقال << غيرت تفعيلة الضرب بعلة الحذف، من (مفاعيلن إلى مفاعي = فعولن = قريب) فعوضت عن هذا التعبير بإرداف القافية بالمد الذي يطيل النطق، فكأن التزامه هذا يردُّ شيئا ممّا حُذِف>> [3].إن مستعمل اللغة العربية يعبر عن اسم الفاعل من (ضرب)، بكلمة مفردة غير (ضارب) لاستطاع أن يأتي بشعر عربي غير ذي وزن عروضي لا علاقة له بأوزان الشعر العربي في تاريخه الطويل، هذا ما أراده ابن عبد ربه، ببيت أرجوزته:

وإنه لو جاز في الأبيات * خلافها لجاز في اللغات[4].**

فإن الصياغة تحوز المعاني وتذهب بها كل مذهب ولا يفوت ابن عبد ربه ذكر ذلك في كتابه العقد الفريد إذ قال: «فإن حاولت صنع رسالة ف زن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرضت، وعابر الكلمة بمعيارها إذا سنحت، فإنه ربما مرّ بك موضع يكون مخرج الكلام إذا كتبت: أنا فاعل، أحسن من أن تكتب أنا أفعل وموضع آخر يكون فيه: استطعت أحلى من فعلت، فأدر الكلام عن أماكنه وقلبه على جميع وجوه »[5].

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص355

[2] المصدر نفسه، ج6، ص191

[3] المصدر نفسه، ج6، ص191

[4] المصدر نفسه، ج6، ص228

[5] المصدر نفسه، ج6، ص238

الخاتمة

من خلال رحلتي مع كتاب (العقد الفريد) ومن خلال دراستي المنهج والمضمون والخصائص يمكن القول: إن هذا المصنف جامع لأصناف المعارف، إذ حاول هذا البحث أن يدرس بعض جوانبه الأدبية يكشف النقاب عن حياة ابن عبد ربه والذي أكده هو أن هذا الأديب الأندلسي لم يحظ بما يستحقه من الدراسة والاهتمام والبحث والتنقيب في أعماله الأدبية.

وقد تبين أنه أديب مجدد ومبتكر لكثير من الصور والمعاني، وشاعر بارع ذو نفس طويل.

كما يخلص من هذا البحث المتواضع إلى أن كتاب "العقد الفريد" يعد موسوعة و سفيرا أندلسيا من بلاد الأندلس إلى بلاد المشرق والمغرب.

كان التأليف الموضوعي لكتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي مقننا تقنينا أدبيا تحركه اللغة الخطابية الراقية المعتمدة على اللفظ الجزل والمعنى الرصين، وتدفعه العاطفة الرقيقة المستميلة للقلوب والإسماع والنفوس، وقدرتها على الإبانة بتلك الأساليب البيانية القريبة المنال، والبسيطة الخيال، فلا غموض ولا تعقيد، ومجاراة أسلوب القران والحديث الشريف والأدب والمثل اقتباسا وتضمينا.

وتتبدى السمة الأدبية بارزة وجلية في حنايا الكتاب في تأليفه وبسطه للموضوعات وتحليله لها ، فظهرت أجزاؤه متلاحمة تلاحما خاصا ومرتبطة ترابطا فكريا وأدبيا فريدا من نوعه.

وكذلك يمكن القول أن هذه الدراسة المتواضعة كان الهدف منها محاولة إعطاء نبذة عن الحياة الثقافية والعلمية وتعمق فيما يخفيه دور كتاب "العقد الفريد" .

وبالرغم من هذه الدراسة الوجيزة إلا أنها تتضمن قيما أدبية ثمينة صالحة لكل زمان ومكان

و على الرغم من المعارضة فإني على يقين من أن هذه الدراسة ما زالت بحاجة إلى إضاءات كثيرة وكبيرة من جميع النواحي لأن الكتاب عقد كما جاء في تسميته، فريد ليس له شبيه، وحتى لو كانت هذه الدراسة لبنة في هرم البناء العلمي، لعل الطالب قد ينتفع بها ويستفيد منها.

قائمة المصادر والمراجـــع

القران الكريم :برواية ورش عن نافع

المصادر:

- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 1، دار النهضة، مصر لطبع ونشر القاهرة، 1959.
- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت، طبعة 1350هـ، 1089م
- ابن حبان، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، نشر الأدب ملشوم أنطونية، دط 1937 .
- ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل مؤسسة الرسالة الأندلس تحقيق محمد علي شوابكة دار عمار، مؤسسة الرسالة، ط1، 1403هـ، 1983م
- ابن خلكان، وفيات الأعيان والإنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، دط، 1388، 1968م
- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 1، تحقيق: صلاح الدين الهواري وأستاذة هدى، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1996.
- ابن صاعد أحمد التغلبي الأندلسي، طبقات الأمم، نشر الأب لويس شيخو اليسوعي مطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912م.
- ابن عبد ربه، ديوان ابن عبد ربة، ت محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة- بيروت ط1 1399هـ، 1979م
- ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، دط، دت.
- ابن فرضي، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق، عزت العطار الحسيني ج1 مطبعة المدني، مصر، القاهرة، ط1، 1373، 1954
- ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج5، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1996.

-بطرس البستاني، دائرة المعارف، ج3، بيروت، دط، 1883

-الثعالبي، يتيمة الدهر، تحقيق مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1 1403هـ، 1983م.

-المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب، ج 3، ت إحسان عباس، دار صادر بيروت، دط، 1388هـ، 1968

- عبد الرحمن، الجوزي، صفة الصفوة ، تحقيق: محمود درواس قلعة حي، دار المعرفة بيروت، ط1، 1399هـ، 1979م

المراجع:

-ابن عبد ربه، ديوان ابن عبد ربه الأندلسي مع دراسة لحياته و شعره، تحقيق محمد التونجي، دار الكتاب العربي ، بيروت ،لبنان ،ط1،1993.

-أبو عبد الله الحميدي، جذوة المقتبس، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2008

-أحمد أمين، ظهر الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، 1979

-أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، مصر للطبع والنشر، القاهرة الفجالة دط، دت.

-أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة دط 1985

-طاهر أحمد مكي، دراسة في مصادر الأدب، دار الفكر العربي، مدينة القاهرة، ط 8 ص1999م

-عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، طبعة العصرية بيروت، 1989، 1990.

المجلات:

-حازم عبد الله، مجلة آداب الرافدين، العدد السابع، العقد الفريد بين المشرق و الأندلس 2011.

المواقع الإلكترونية:

-ask.com WWW.int.search.tb ، يوم 2015/06/12، على الساعة 15 مساء

-WWW.alukah.net/culture/0/6850 يوم 2015/06/13، على الساعة 10 صباحا.

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ-ج
المدخل:المؤثرات العامة في حياة الكاتب	05
1 - نشأة ابن عبد ربه وعلاقته بخلفاء عصره	06
2 - ثقافة ابن عبد ربه الفقهية والأندلسية	10
الفصل الأول: مفهوم وآليات الكتاب	14
1 - بيئة وحياة ابن عبد ربه	15
1 1 - مكانة ابن عبد ربه الشعرية	17
2 - تعريف وتسمية العقد الفريد	22
3 - أقسام الكتاب و موضوعاته	24
3 1 - منهج الكتاب	30
3 2 - مادة الكتاب	33
3 3 - خصائص الكتاب	34
4 - قيمة الكتاب و أثره في الدراسات الأدبية	36
الفصل الثاني: المضامين الأدبية والفنية	41
1 - المضامين الأدبية	42
1 1 - النثر الفني	42
أ - الخطابة	42
ب - الخطابة السياسية	43
ج- الخطابة المحفلية	44
1- خطب الزواج	44
1 - خطب الأعراب	44
1 1 - الأمثال	45

1 2 - الرسائل	47
أ - الرسائل الديوانية	47
ب - الرسائل الإخوانية	47
1 3 - التوقيعات	47
1 4 - الشعر	48
2 - المضامين الفنية	53
2 1 - البيان	53
2 2 - البلاغة	55
2 3 التراكيب و الألفاظ	56
2-3-1 الخصائص الأسلوبية و البنائية	59
أ - الخصائص الأسلوبية	59
ب - الخصائص البنائية	60
الخاتمة	63
قائمة المصادر والمراجع	65
فهرس الموضوعات	69

ملخص:

كتاب " العقد الفريد " 'لابن عبد ربه الأندلسي' هو موسوعة علمية ومجموعة أدبية فنية جمع فيه المؤلف مختارات كثيرة من المنظوم والمنثور من خلال اطلاعه الواسع وإحاطته بجميع جوانب الأدب وذوقه السليم،وحسه المرهف الذي مكنه من اصطفاء الأجود من ألوان الثقافة وفنونها المتنوعة فجعل كتابه شافيا وافيا جامعا لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة وبعد أن حلّى كل جزء منه بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها وتوافقها في مذهبها كما قال 'أفلاطون' عقول الناس مرهونة في أطراف أقلامهم ،ظاهرة في حسن اختيارهم ".

كما ابتدع 'إبن عبد ربه' طريقة جديدة شاعرية في التأليف استوحاها من عمل الصائغ عندما وضع كتابه على شكل عقد يضم خمسة وعشرون جوهرة كريمة كل جوهرتين فيه متناظرتان بالنسبة للجوهرة الموجودة في وسطه التي أسماها الواسطة اعتمد على اختيار الكلام من جواهر الأدب ومحصول جوامع البيان وحسن الاختصار وجرد الأخبار من أسانيدها طلبا للإيجاز والتخفيف وتوسع في تطوير منهجه و أضفى على كتابه مسحة فنية،وروحا رقيقة شاعرية لا يمكن إنكارها بأسلوب جيد وألفاظ ومعاني مختارة وهكذا يكون الكتاب جميل العرض جيد التصنيف والترتيب ذو منهج مفضل في التأليف الأدبية مما لا شك فيه أن كتاب العقد الفريد يعد مصدرا مهما من مصادر الكتب التي سبقته بل إنه حقا يتميز بوفرة المادة مع دقة السيك وحسن النظام .

ABSTRACT: The book of "ELAIKD EL FARID" which was written by IBEN ADDRABOU ELANDALOUSI is a scientific encyclopedia and a collection of an artistic literature. The writer gathered inite a plenty of selections in prose and in poetry he had a wide knowledge and grasp of all parts of literature.

He had a high and great intuition which helped him to select different cultures and various arts. He made a conclusive and an adequate book. His book contains the most meanings which were used by all kinds of people. He embellished each part with the illustrations from the poem.

He used homogeneity in his news in their meanings and a harmony doctrine as AFLATON said "people's minds are subject to their pens tips, obvious in their nice selections. He also created a new dreamy method in writing got it from the jeweler work when he made his book as a necklace form which includes twenty five valuable jewels. Each two jewels were analogous. According to the center jewel that one was - called – the mediator. He based on speak choice and literature jewelery, the out Put of chetoric collections, the good selection and listing news from their sources for brevity and decrease. He also cextended in developing his methodology and gave his book an artistic, sensitive spirit that we that we could not deny through a nice style, chosen lexis and meanings for those reasons, this book is so beautiful in exposing, good in classification and order it has got a preferable method in literary writings without any doubt, the book of "ELAIKD EL FARID" is an important source among the Arabic heritage sources thas preceded it. He is really a book that is rich and precise in formulation and organization.